

# إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف

ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السَّجلماسي  
(١٢٩٠ - ١٣٦٥ هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية  
بجامعة المنيا والإمام بالرياض  
ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الثاني

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

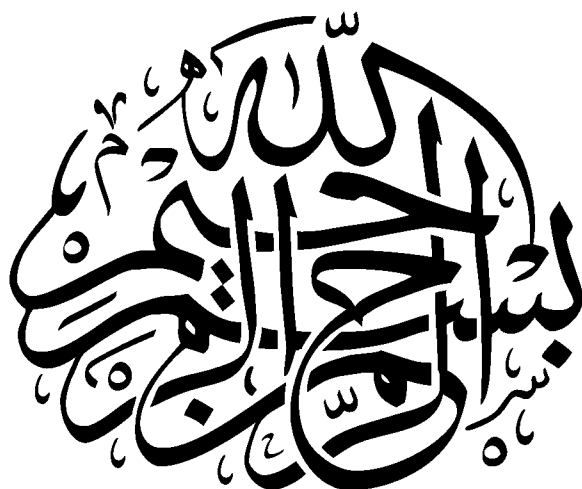
الطبعة الاولى  
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨  
حقوق الطبع محفوظة للناسر  
الناشر  
مكتبة الثقافة الدينية  
٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة  
٢٥٩٣٦٢٧٧ / فاكس: ٢٥٩٣٨٤١١-٢٥٩٢٢٦٢٠  
E-mail: alsakafa\_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة  
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشئون الفنية

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج ٢  
تأليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسي ، تحقيق: على عمر  
- ط ١ - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨  
٥ مج : ٢٤ سم  
تتمك : X ٣٩٠ ٣٤١ ٩٧١  
١- الفقهاء - معاجم  
أ- عمر ، على (محقق)  
ب- العنوان

ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الابداع : ٧٦٦٧/٢٠٠٨





## قوله ظهور الجزء الأول<sup>(١)</sup> (من هذا التاريخ)

\*\*\*

لقد كان لظهور الجزء الأول من هذا التاريخ الحفيل فى عالم المطبوعات رنة استحسان وصدى تقدير ودوى قوى فى سائر النوادى العلمية والأدبية والتاريخية، وما بزغت شمسهُ حتى تخلل صيته الآفاق، واشراأت إليه الأعناق، وأحدثت به الأحداق، وتناقل صحيح حديثه الرفاق، وتصفحه نقاد العلماء والكتاب والأدباء من أقطار المغرب الثلاث إلى مصر والشام وأوروبا على اختلاف الملل والنحل وكتبت فى شأنه المجلات العلمية والصحف الأدبية شرقية وغربية عربية وعجمية وتهاطل على سماحة مؤلفه من رسائل التقريظ والثناء والتحييد من سائر المقامات ما سينشر عند انتهاء الكتاب إن شاء الله تعالى.

أما الآن فسيتوج هذا الجزء الثانى بالظهير الشريف الذى أصدرته جلالة مولانا السلطان أعزه الله تقريرا للكتاب وجوابا للمؤلف عن إهدائه إياه لجنابه الكريم.

وإن المؤلف ليشكر المحتفلين بكتابه على اعتنائهم والناقدين على ملاحظاتهم التى أبدوها عن إخلاص وصفاء. كما أنه يلتمس الأعذار للذين قدم لهم الجزء الأول هدية ودية، لمكانتهم العلمية وسمعتهم الأدبية فلم يتنازلوا - وقليل ما هم - حتى لرد السلام.

وإليك رسم الظهير السلطانى الشريف متلوًّا بالجواب المقيمى اللطيف.

---

(١) نص ما جاء فى صدر الجزء الثانى من إتحاف أعلام الناس.











إتخاف أعلام الناصر  
بجمال أخبار حاضرة مكناس  
لابن زيحان





## ٨٧- إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل<sup>(١)</sup>

أحد رجال صحيح البخارى ذكره فى سنده مرة واحدة فى أواخره - ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب، ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول. بنت أجل نبي وأفضل رسول صلى الله عليه وعلى آله وحزبه.

حاله: ماذا عسى أن أقول فيمن كان جبريل لجدته خديما، والله صلى عليه وملائكته، وأمرنا أن نصلى عليه ونسلم تسليمًا، واختاره على وحيه أمينًا، وقرن طاعته بطاعته وجعل حبه ذخرا ثمينا. وماذا عسى يحبر اليراع. فى محامد من طبقت مفاخره البقاع. ولو حاول المثنى عليه أقصى ما يحاول. فأين الثريا من يد المتناول. وبأى لسان أعرب. عن فضائل من محا آية الشرك من لوح المغرب. وأزاح ظلام الكفر والطغيان. بنور الهدى والإيمان. . ورضع عباب العلم غضا طريا. وجعل إمامه الكتاب والسنة ولم يأت شيئا فريا. وجاهد فى الله حق جهاده. وصير كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله العليا وذلك أقصى مراده.

وأبوه ذنية ديباجة بنى هاشم ورءوس قريش على سيادته فيهم شدت منهم الحيازم. وجده الحسن روى عنه إمامنا مالك. طائر الصيت فى سائر المسالك. وقال: إنه ممن يقتدى بفعله. اعترافا منه بورعه وفضله. وأخرج له البخارى فى الصحيح. ووثقه الأئمة المرجوع إليهم فى التعديل والتجريح. ورث ولده المترجم المجد لا عن كلاله. وتردى برداء الوقار والجلالة. تهيأت له الخلافة العظمى. إذ رأت مكانته أفخم وأسمى. فأمهرها القبول. ونهج فيها نهج جده خير رسول.

كان فى علم الكتاب والسنة من البحور الزواجر. لا تكدره المواخر بلغ مرتبة أهل الاجتهاد. وعلم جلالته ومكانته فى العلم كل من ساد فى أقطار البلاد.

---

(١) من مصادر ترجمته: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢٠٨/١ وما بعدها.

حاضرها والباد. كان لا يتقيد بمذهب شأن السلف الصالح ذوى السعى الرابع. عاصر مالكا وغيره من صدور الأمة. المهتدى بهديهم فى كل مدلهمة.

فر بنفسه فى وقعة فَنَحَّ التى كانت فى أيام موسى الهادى بن محمد المهدي العباسى على ما قاله غير واحد من أعلام هذا الشأن، وصححه الحلبي فى دره. وَفَنَحَّ بفتح الفاء وتشديد الخاء - وقد وهم من أبدل الخاء جيما، وكانت هذه الوقعة الشنعاء يوم السبت وصادفت يوم التروية سنة تسع وستين ومائة، وكان هذا الإمام العظيم المقدار ممن حضرها هو وشقيقاه سليمان ويحيى فى جملة أبناء عمه وغيرهم.

ولما قتل فيها من قتل منهم ومن جملتهم شقيقه سليمان كما فى «تاريخ ابن جرير» و«مروج الذهب» للمسعودى و«الدر السنى» للقادرى وفر من فر، كان صاحب الترجمة ممن فر ناجيا بنفسه وفى معيته موله راشد فتوجهها من مكة شرفها الله إلى مصر ثم إلى إفريقية فأقاما بالقيروان مدة ثم سارا إلى تلمسان واستراحا بها أياما، ثم ارتحلا عنها قاصدين طنجة فعبرا فى طريقهما وادى ملوية، ودخلا بلاد السوس الأدنى والسوس الأقصى وتجولا فى جبل درن إلى أن وصلا مدينة طنجة، ثم رحلا عنها إلى مدينة وكيلى، ونزلا على أميرها الأوربى إسحاق بن محمد بن عبد المجيد، وذلك غرة ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ومائة باتفاق. قال علامة الآفاق ابن غازى فى رجزه الذى ذكره فى «تكميله»:

|                            |                         |
|----------------------------|-------------------------|
| وعقدت راياته فى القصب      | وجاءنا إدريس عام [قعب]  |
| إلى وليلى المغرب القصى     | إذ قام صنوه على المهدي  |
| وبعد ما سم سما النجل الأبي | واختلط فاسنا لعام [قضب] |

وما وقع فى «الدر البهية» من أن ذلك كان سنة سبعين وهم.

وقد كان الأوربي على مذهب الاعتزال، فرغب عنه رغبة في التمدّ به  
بمذهب هذا الإمام العظيم الشأن الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة، فتمذهب  
به، قال الحلبي: صرح بذلك جمع من المؤرخين.

ثم جمع إخوانه وقبائل البربر فعرفهم بحسب ونسب هذا البضعة النبوية  
الطرية وما حوته من الأوصاف الحميدة وقرابتها من رسول الله، وأشار عليهم  
ببيعته فأجابوا بالسمع والطاعة، وكان ممن أسرع لبيعته غمارة وزواغة ولواتة  
وصدراتة ومكناسة ونفزة وغياثة وفي مقدمتهم قبائل أوربة أهل القوة والشوكة  
لذلك العهد، وكافة البرابر المخالفين لبرغواطة، فبايعوه على السمع والطاعة ولم  
يتخلف أحد منهم عن بيعته.

وقد اتفقوا على أن بيعته كانت سنة قدومه وهي سنة اثنتين وسبعين ومائة،  
واختلفوا في شهر ويوم بيعته منها.

ف قيل فاتح ربيع الأول، وعليه جرى ابن أبي زرع في «الأنيس» وابن القاضي  
في «الجدوة» كلاهما في ترجمة الحسن ابن قاسم آخر ملوك الأدراسة.

وقيل عند دخول رمضان وعليه اقتصر البكري، والجزنائي، والحلبي.

وقيل رابع عشر منه، وعليه جرى أولا ابن أبي زرع، وابن القاضي.

ثم بعد مبايعة الناس له قام خطيبا فقال: أيها الناس، لا تمدوا الأعناق إلى  
غيرنا، فإن الذي تجدون من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا<sup>(١)</sup>.

ثم بعد ذلك أتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر وبايعوه على المنشط  
والمكره، فتمكن سلطانه وقوى أمره، ووفدت عليه الوفود من سائر الجهات وقصد  
إليه الناس من كل صوب وصقع.

ثم حشد الجيوش وخرج غازيا إلى بلاد تامسنا، ففتح أولا مدينة شالة ثم  
بعد سائر بلاد تامسنا، ثم سار إلى بلاد تادلا، وقد كان أكثر أهلها على دين

---

(١) الاستقصا ١/ ٢١١.

النصرانية واليهودية والمجوسية، وكان قد بقى منهم بقية متحصنون بالمعاقل والجبال والحصون المنيعه، فلم يزل يستنزلهم ويقفو أثرهم حتى اعتنقوا الإسلام بالطوع والكراه، وأباد من بقى منهم متعصبا بعد أن فتح مدائنهم ومعقلهم.

ولما امتد نفوذه بتلك الأصقاع رجع لمدينة ولىلى فدخلها فى النصف الآخر من جمادى الثانية سنة ثلاث وسبعين ومائة، فأقام بقية الشهر بها، والنصف الأول من رجب.

ثم ظعن برسم غزو تلمسان، ولما وصل إليها أقام بظاهرها حتى أناه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوى الخزرى وطلب منه الأمان فأمنه وبايعه هو ومن معه بتلمسان من قبائل زناته وغيرهم، فدخل المدينة صلحا، وأمن أهلها وبنى مسجدها وأتقنه وصنع فيه منبراً، وكتب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وعنا به.

فتم له الأمر ودانت له رقاب أهل المغرب، ونشر الإسلام فيه على يده، ولم يتفق هذا الفتح الباهر الباهض قبله لأحد حتى لعظماء القياصرة ذوى العدة والعدد والقوة والبأس الشديد، ورجع إلى ولىلى وقد امتدت إمارته ما بين نهر شلف إلى وادى نفيس. وقد وفد هذا الإمام للقطر الإفريقى الوافر العمران المتعدد الشعوب والقبائل واختلاف ألسنتها وأديانها وأهوائها وآرائها وتمنعها وعصبيتها، وهم أكثر من أن يحصوا، قال ابن خلدون: وكلهم بادية وأهل عصابات وعشائر، وكلما هلكت قبيلة عادت الأخرى مكانها وإلى دينها من الخلاف والردة.

والحال أن مولانا إدريس فى هذا الوطن غريب (ناء عن الأهل صفر الكف منفردا) لا زاد ولا مال، ولا استعداد ولا عشيرة، ولا تقدم له معرفة بأحوال البلاد ولا يعلم لهم لسانا، ولا يعرف منهم إنسانا، ودولة بنى العباس فى عنفوان شبابها ذات سطوة قاهرة، وأساطيل متكاثرة وجيوش ذات قوة وبأس شديد، وكلمة نافذة

مسموعة، سوت بين الأحرار والعبيد، ولم تأل جهدا فى اقتفاء أثره والرغبة فى إلقاء القبض عليه، والبطش به حيثما وجد، وبألغت طاقتها فى الإغراء حتى سموه فى مشموم مسموم كما هو معلوم، فلم تقدر عليه، حماية وعناية من الله له، وأتاح له سبحانه من النصر والتمكين ما لم يعهد نظيره لأحد فى غابر الأزمان، فاستولى على كثير من بقاع المغرب، وبدّل لغة أهلها من البربرية إلى العربية ودياناتهم العديدة إلى التوحيد الحق، فأشرقت أنوار الإيمان بأرجاء قلوبهم، وفتح به فى أقرب مدة أعيننا عميا وآذانا صما وقلوبا غلغا، وهدى به الملايين من الخلق وأنقذهم من ظلام الإلحاد والإشراك، إلى ضياء الحق، وآثروه على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشائرتهم.

وقد غزاهم قبله من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا فلم يأخذهم رواؤه، ولا نجح فبهم دواؤه، إذ قد عاد وأبعده للثورة والردة حتى قال ابن خلدون نقلا عن ابن أبى زيد: ارتدت البرابر بالمغرب اثنتى عشر مرة ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده.

ويعجبني هنا قول صديقنا العلامة الحافظ الشريف السيد المدنى بن الحسنى الرباطى من قصيدة<sup>(١)</sup> فى عظماء المغرب مما أملى فى حفلة مدرسية عام ١٣٤١هـ.

(١) فى هامش المطبوع مطلعها.

|                           |                             |                          |
|---------------------------|-----------------------------|--------------------------|
| بنى قومي أفيقوا من منام   | وجدوا فى المعالى باهتمام    | فما نيل المعالى بالتوانى |
| ولكن بالعزيمة والنظام     | لقد كنا وكان العرب قدما     | هداة الخلق من سام وحام   |
| أناروا الكون والأقطار طرا | بهدى لاح فجرا فى ظلام       | وكنا حائزى قصبات سبق     |
| بميدان المكارم فى الزحام  | لقد سادوا وساسوا الملك دهرا | بمصر والعراق مع الشام    |
| وأندلس ومغربنا وصين       | وسودان وهند باعترام         | فسل فاسا وقرطبة ومصر     |
| تنبيك أو فسل دار السلام   | وسل غرناطة الحمرا وشاما     | وتونس حيث تونس بالمرام   |
| وفاز الغرب.. إلخ.         |                             |                          |

وفاز (الغرب) بالقدر المعلى  
ف (طارق) قد بدا علما تسامى  
قد اعترفت شعوب الأرض طرا  
وحاز لسان صدق فى البرايا  
ألست تراه يعرض كل حين  
و(موسى) قد تسامى فى سماء  
وأحيا دارسا (إدريس) لما  
له فضل عظيم ليس يحصى  
به الإسلام قر فى قراه  
وأتباع الهداة على هداهم  
وسل سليله (إدريس) سيفا  
بنى (فاسا) فكان العلم فيها  
فكم حبر وكم بحر تسامى  
وإن (الجامع القروى) فينا  
به للمغربى على سواه  
جميع مدارس الدنيا تبدت  
وقد ضربت له آباط إبل  
ومن آفاق (أوروبا) خصوصا  
وراهب (رومة) قد رام فيه

إذا استبق الجميع إلى السهام  
بحد سنانه وظبا الحسام  
بفضل من مآثره الجسام  
تضوع نشره بعد الرجام  
أساطيل العباد على الدوام  
بنشر العدل فينا والسلام  
بدا فينا كتاج فوق هام  
على أبناء مغربنا العظام  
وأعطته البرابر بالزمام  
بميزان لهم بعد الحمام  
لإرغام العداة على الرغام  
ينير لنا دياجير الظلام  
ومد عبابه كالبحر طام  
كنبراس يضىء لذى اعتصام  
فخار لا كفخر بالوسام  
متابعة كتلو للإمام  
لشيخ أو لكهل أو غلام  
بنى التاميز من فرط الغرام  
علوم الكون من دون انتقام



أقر هذا الجحود وليس يخفى (هلال) (١) الأفق من تحت القتام

وإن الحق ما شهدت عداه أقر الخصم من بعد الخصام (٢)

انتهى الغرض .

(١) فى هامش المطبوع: «جاء فى مجلة (الهلال) المصرية منذ ثلث قرن بتاريخ عام ١٣١٥ آخر المجلد الأول (٥٠٨) أن «أقدم مدرسة كلية فى العالم أنشئت ليست فى أوروبا كما كان يظن بل فى إفريقيا فى مدينة (فاس) عاصمة بلاد المغرب سابقا إذ تحققت بالشواهد التاريخية أن هذه المدرسة كانت تدعى (كلية القيروان) وأسست فى الجيل التاسع للميلاد وعليه فهى ليست فقط أقدم كليات العالم بل هى الكلية الوحيدة التى كانت تتلقى فيها الطلبة العلوم السامية فى تلك الأزمنة حيث لم يكن سكان باريز وأكسفورد وبارو وبولونيا يعرفون من الكليات إلا الاسم ولذلك كانت الطلبة تتوارد إلى كلية القيروان من أنحاء أوروبا وإنكليز فضلا عن بلاد الغرب الواسعة للانخراط فى سلك طلابها وتلقى العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الطرابلسيين والتونسيين والمصريين والأندلسيين وغيرهم . ومن جملة من تلقى علومه فى هذه الكلية من الأوروبيين (غريونا) والبابا (سلفستر) وهو أول من أدخل إلى أوروبا الأعداد العربية وطريقة الأعداد المألوفة بعد أن أتقنها جيدا فى الكلية المذكورة كما يظهر من رسالته إلى الإمبراطور أتون مساعده التى أتى فيها على ذكر الصفر بقوله إنى أشبهك بالرقم الأخير من الأعداد البسيطة العشرة التى يزداد قيمة بوضع أعداد أخرى عن يساره ثم أبدى أسفه على حالتها الحاضرة ووصفه لما هى عليه الآن . أما قول العلامة الأستاذ فريد وجدى فى كنز العلوم واللغة (٥٣٢) أن «الأزهر هو أقدم مدرسة فى العالم ، بعد مدرسة بولونيا بإيطاليا» فهو خلاف الواقع كما ترى من الكلام السابق . وهو مجد سامق (والفضل للمتقدم) فإن القرويين بفاس بنته القائنة الصالحة أم البنين السيد فاطمة بنت محمد الفهرى القيروانى يوم السبت فاتح رمضان سنة (٢٤٥) لما قدمت مع أبيها وإخوتها فى وفد القيروان على مولانا إدريس بنى فاس وأن الأزهر بمصر بناه القائد جوهر يوم السبت ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ فالقرويين أقدم من الأزهر بمائة سنة وأربعة عشر سنة .

(٢) تمامها :

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| و(يوسف) صاحب الحمرا تبدى   | بأندلس إلى رعى الذمام        |
| أجاز إلى الجزيرة إذ دعت    | طوائفها فأحيا كالغمام        |
| و(يعقوب) ذو رباط الفتح لها | تمادى المعتدون فى الانتقام = |

= فكان جوابه ما قد رأوه  
وقد سالت بطاح الأرض طرا  
وصب على الأعادى فى البادى  
ومد (أبو عنان) عنان عزم  
وفى وادى المخازن قد تراءى  
و(إسماعيل) كم أبدى وأسدى  
فطنجة والعرائش فى ثغور  
وما علماؤنا إلا معين  
ففى الحمراء عياض حفيد  
كذا القاضى أبو بكر بفاس  
وعباس بن فرناس تسامى  
وإن الجوهرى سما بريش  
فكونوا خلفهم خلفا حميدا  
وكونوا مثلهم فضلا ومجدا  
«فليس تزال طائفة بغرب»  
كما جاء الحديث بذا صريحا  
فمسلم فى الصحيح روى فأضحى  
وكونوا فى خلائكم كروض  
وقد بعث النبى لنا إماما  
وفى شعب الإيمان غناء  
وإن حياءنا منها فكونوا  
وإن قواعد الإسلام منها  
فكونوا حافظين لها دواما  
تحلوا من خصال الخير طرا  
وإنصاف وحلم ثم صفح  
وإغضاء وصبر مع وفاء  
محبة كل ذى دين وعلم

من البطش القوى المستدام  
بنبال وسياف ورام  
سياطا من عذاب كالضرام  
إلى العليا مرفوع المقام  
لنا (المنصور) يزأر كالهمام  
وأهدى من مفاخره الفخام  
بدت تفتى منه بابتسام  
معين نافع لكل ظامى  
سهيلهم بدور فى تمام  
تراءى لنا بعيدا عن ملام  
وحلق فى الفضاء بلا مسامى  
إلى العليا معتدل القوام  
يجدد ما تناثر من نظام  
فينجو الكل من موت زؤام  
بفضل الله قائمة السنام  
عن المختار مولانا التهامى  
صحيحا عندنا دون اتهام  
تأرج من غرار أو بشام  
لتميم الكارم بالتمام  
لمن يغنى بحل عن حرام  
كعذراء الخدور من احتشام  
كأركان البنا دون انهدام  
وإلا فالجميع إلى انعدام  
بأخلاق حسان كالوئام  
ونصح خالص بذل السلام  
وإقلال الشراب مع الطعام  
ومعرفة وهجران الطغام

ولا يعزب عن علمك أن مولانا إدريس ممن جاء بعد ابن نصير وأنه وجد قبائله أى المغرب ذات عقائد زائغة، وبدع فاشية، وأن استقرار الإسلام فيهم إلى الحين الحالى إنما هو على يد هذا الفاتح الأعظم، الذى هو أول قادم من آل البيت المطهرين من الرجس تطهيرا لقطرنا المغربى، وذلك فضل عظيم يعظم به مجده، ويطول به باعه، والمرء فى ميزانه اتباعه.

وهو من تابعى التابعين على الصحيح وقيل من التابعين وعليه جرى بعض قدماء العلماء الذين مدحوه حيث قال:

زرهون أشرف ما فى الأرض من بقع      إذ فيه قبر عظيم من ذوى الكرم  
وذاك قبر الإمام التابعى الذى      من آل بيت الرسول سيد الأمم  
إدريس أفضل خلق الله فيه إذا      وهو الإمام لهم فى الحشر والعلم  
وضرب السكة بتدغة عام أربعة وسبعين ومائة نقش فى وسط وجه منها لا  
إله إلا الله وحده لا شريك له، وبدائرته باسم الله ضرب هذا الدرهم بتدغة سنة

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |                                                                                                                                                                                                                                                                                                        |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>وبر الوالدين لكم أكيد<br/>ذروا كل القبائح والدنايا<br/>ككبر أو كعجب أو ككذب<br/>وحقد غيبة حسد وهجر<br/>فإن الوقت فينا سيف قطع<br/>دعوا فخرا بما يفنى ويلى<br/>فليس الفخر إلا لذى علوم<br/>فجدوا فى العلوم بلا توان<br/>وليس العلم سهلا دون كد<br/>وإنا نسأل المولى حظوظا<br/>ونسأله السلامة كل حين</p> | <p>=<br/>لترية لنا قبل الفطام<br/>وأخلاق قباح من لئام<br/>وبهتان وإكثار كلام<br/>وتطبيع الزمان من المنام<br/>فإن لم تقطع جاء بالفصام<br/>ولا يبقى جديدا كل عام<br/>فقيمته به بين الأنام<br/>ولا ضجر كفعل المستهام<br/>وليس ينال إلا لذى دوام<br/>توافينا على طرف الثمام<br/>وتوفيقا إلى حسن الختام</p> |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

١٧٤، ونقش في وجه صورة هلال، ثم محمد رسول الله ﷺ، وتحت ذلك على ثم مما أمر به إدريس بن عبد الله: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا انتهى.

رأيت هذه السكة من فضة وزنها أكرمان اثنان وتسع وستون ٢، ٦٩- وعلى ذكر هذه السكة الإدريسية أذكر كلاما لصاحب «الدوحة المستكة في أحكام دار السكة» ونص الغرض منه:

الفصل الأول في أول من ضرب الدينار والدرهم قبل الإسلام وبعده وأول خليفة كتب اسم الله تبارك وتعالى وعين الأماكن لضربها وشدد في تخليصها. قال القاضي أبو الحسن بن لبال في شرحه «لمقامات الحريري»: إن الناس في أول الزمان كانوا يتبايعون بالعروض فيما بينهم كالحنطة والشعير والحبوب والفواكه وما أشبه ذلك، فشكوا إلى ملكهم ما ساءهم من ذلك وما يخافون من إتلاف أموالهم إن بقوا على هذه الحالة، فأمرهم أن يختاروا ما لا يفسد على مكث الزمان، فاختراروا حجر الذهب الذي هو أبقى جواهر الأرض، وكلما بقى تحت الأرض صلح وطاب، وكلما دخل النار تخلص وحسن، وأمر بضرب الدينار وطبعها بطابع الملك، ونهى أن تفسد وأن يكسر طابعها، وأن من فعل ذلك تقطع يده يريد على سنتهم، وأخبروه أيضا أنهم يحتاجون إلى ما لا يفى ثمنه بقيمة الدينار بأقل منه أو من أجزائه مما لا بد لهم من مصلحة أنفسهم من شراء الحوائج، فأمرهم باختيار حجر آخر دون الذهب يكون قيمة الدينار منه عشرة دراهم، فاختراروا الفضة وضرب منها الدرهم، وطبعه بطابع الملك فكانت قيمة العشرين دينارا مائتي درهم.

ولم تزل الروم تستعمل الدينار والفرس تستعمل الدراهم حتى جاء الإسلام فكان الناس يستعملون ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان، فضرب الدينار والدراهم وكتب على الدينار: الله أحد، وكانت قبل ذلك لا كتب عليها، وكتب على الدراهم كذلك.

وكانت الدراهم فى أيام الفرس مختلفة على ثلاثة أوزان، منها درهم على وزن المئقال عشرون قيراطا، ودرهم على وزن عشرة قيراط، فلما جاء الإسلام واحتيج إلى تقدير الزكاة أخذ الأوسط من جميع الأوزان الثلاثة وهى اثنان وأربعون قيراطا، فاتفقوا على أن يكون الدرهم على وزن أربعة عشر قيراطا من قيراط المئقال، والمئقال أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط من ثلاث حبات، وأربعة وعشرون فى ثلاثة، اثنان وسبعون فهو من اثنين وسبعين حبة.

ومن البرى لوتيمة بسنده عن ابن عباس، قال: إن أول سكة وضعت فى الأرض الدنانير والدراهم وضعها ثمود بن كنعان، وكان الناس يتبايعون قبل ذلك بالتبر من الذهب والفضة، فلما ضربت الدراهم والدنانير نخر إبليس نخرة وقبض عليها فى يده وقبلها، وقال: استمسكت من بنى آدم، بكما يقطعون الأرحام ويسفكون الدماء ويظلم بعضهم بعضا.

وقيل: إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما رأى اختلاف الدراهم نظر إلى أغلب ما يتعامل الناس فيه من أعلاها وأدناها، فجعل منها اثنى عشر دانقا، وأخذ نصفها فكانت ستة دوانق، فمتى زدت على الدرهم ثلاثة أسباعه كان مئقالا، ومتى نقصت من المئقال ثلاثة أسباعه كان درهما.

وكان الفرس عند فساد أمورهم قد فسدت نقودهم، والنقد هو الخالص من الذهب والفضة، فاتسع فيه حين جعل المعجل من كل مدفوع نقداً من كل شىء فميز المغشوش من الخالص.

وقد اختلف فى أول من ضربها فى الإسلام، فقيل: عبد الملك بن مروان وكانت حينئذ الدنانير من ضرب الروم، والدراهم من ضرب الفرس كسرى وحمير، وكانت قليلة فأمر عبد الملك بن مروان الحجاج بضربها سنة أربع وسبعين من الهجرة، وقيل خمس وسبعين، وكتب عليها: الله أحد الله الصمد.

ثم ولى ابن هبيرة فى أيام يزيد بن عبد الملك فضربها أجود مما كانت، وشدّد فى تجويدها، ثم ضربها بعده يوسف بن عمر فأفرط فى تجويدها فكانت الهيبيرية والخالدية واليوسفية أجود دراهم بنى أمية، وكان المنصور لا يأخذ فى الخراج غيرها.

وقيل: إن أول من ضربها مصعب بن الزبير عن أمر عبد الله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة، وعليها بركة من جانب والله من جانب، ثم غيرها الحجاج وكتب عليها بسم الله فى وجهه، وفى وجه الحجاج. انتهى.

وقال: أول من ضرب السكة المركنة أبو عبد الله المهدي القائم بأمر الموحدين، وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة الموحدية كلها مدورة، فأمر المهدي وعهد إلى خليفته عبد المؤمن أن تكون دراهمه مركنة فكانت كذلك إلى أن قال: وكان بمدينتي فاس القرويين والأندلسيين دار سكة فنقلهما الخليفة أبو عبد الله الناصر بن المنصور الموحدي إلى دار أعدها بقصبتها حين بناها سنة ستمائة، وأعد بها مودعا للأموال المنفقة بها ولطوايع سكتها وغالبا ما كان يسبك به الذهب.

تنبيه: ما قدمته من أن مولانا إدريس هو أول آل البيت دخولا للمغرب به صرح غير واحد وأطلق، ولا إشكال فى كونه كذلك بالنسبة للمغرب الأقصى، وأما غيره فقد وقع فى «حجة المنذرين» أنه سبقه إلى دخول المغرب الأدنى أخوه سليمان هـ.

أقول: ويرده قول ابن خلدون: وأما سليمان أخو إدريس الأكبر فإنه فر إلى المغرب أيام العباسيين فلحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه إدريس. انتهى.

وقال قبل هذا ولحق به - يعنى الإمام إدريس الأكبر - من إخوته سليمان، ونزل بأرض زناتة من تلمسان ونواحيها، ونذكر خبره فيما بعد. انتهى.

يشير إلى ما قدمنا بعضه عنه آنفا ونحوه لابن أبي زرع، وهو صريح في أن دخول مولاى سليمان للمغرب متأخر عن دخول شقيقه المترجم، لكن ينافى ذلك ما أسلفناه عن ابن جرير والمسعودى وغيرهما من كون المولى سليمان كان من جملة قتلى فُخٍّ، ومثله نقله الحلبي عن سبط ابن الجوزى، ويوافقه ما نقله الحلبي أيضا عن ابن حزم ومصعب، من أن الذى أتى تلمسان هو ابن سليمان محمد لا أبوه سليمان، وكذا ما نقله عن «بحر الأنساب» من أن محمد بن سليمان هو الذى خرج مع عمه المترجم إلى تلمسان. فدخول سليمان إلى المغرب مختلف فيه، قال الحلبي: والصحيح دخوله إياه لاتفاق مؤرخى المغرب عليه كالتنسي، وابن خلدون، وابن أبي زرع، وصاحب المسالك، ونقل عن النوفلى ذلك أيضا وهو محقق فى التاريخ. انتهى.

قلت: أما ابن خلدون وابن أبي زرع فكلاهما صريح فى أن دخول سليمان للمغرب متأخر عن دخول أخيه الإمام إدريس، فلا شاهد فيه لمن ادعى الأوليّة لسليمان وإن كان شاهداً لأصل الدخول، وأما كلام المسالك فقد وقفنا عليه فى أصله فوجدناه صريحا فيما قصده الحلبي من أصل الدخول محتملا للتأخر والتقدم، وهو فى الأول أظهر واعتماده فى ذلك على كلام النوفلى لنقله له واقتصراره عليه فى ترجمة مدينة فاس، ومن جملة ما اقتصر عليه فى هذه الترجمة أن سليمان نزل مدينة تلمسان مع أنه فيما قدمه فى ترجمة تلمسان اقتصر على قوله: نزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن. انتهى. فاقتصر على أن النازل بها هو ولده محمد وبه يسقط احتجاج «الدر النفيس» بما فى المسالك.

وفى «العرف العاطر» لأبى محمد عبد السلام القادري جد صاحب «النشر» ما نصه: بويع له - أى لسليمان - بتلمسان فيما قيل، ثم قال: وقال مصعب: إن سليمان المذكور قتل بفُخٍّ، قال: وكان ولده محمد خرج إلى المغرب، ومصعب أعرف بهذا الشأن من غيره إذ كان معاصراً له ومن أهل أرضه وبلاده ونحوه لابن حزم والأزرقانى. انتهى.

وبطرته بخط صاحب النشر ما صورته ما حكاه بقليل من أن سليمان بن عبد الله دخل المغرب ونزل بتلمسان هو الذى عند التنسى فى نظم الدر والعقيان، وابن خلدون فى كتاب العبر، وابن أبى زرع فى الأنيس وأبى عبيد البكرى فى المسالك.

قلت: التنسى تابع لابن خلدون، فإن كل ما فى كتابه مأخوذ منه إلا أنه لا يسميه، وابن خلدون تابع لصاحب الأنيس فكثيراً ما ينقل عنه ويصرح به ويعتمده، وصاحب الأنيس تابع لصاحب المسالك فكثيراً أيضاً ما يعتمده وينقل عنه، وصاحب المسالك نقله عن النوفلى عن عيسى بن حيون قاضى أرشقول ولم نعثر على من قال إن هذا كان من الحفاظ فالصحيح المعتمد أن الداخل للمغرب هو محمد بن سليمان كما قاله الحفاظ الثلاثة النسابون: مصعب الزبيرى، وابن حزم، والأزورقانى. انتهى، من خط عم والدنا. انتهى، ما وجدته بخط صاحب النشر طرة المحل المذكور من كتابه المذكور.

وقد رام فى «حجة المنذرين» الجمع بين الخلاف فى هذا المقام فقال: إن دخول مولاي سليمان المغرب كان صدر القرن الثانى فراراً من أبى جعفر المنصور، ثم استخلف ولده فى عين الحوت ورجع للحجاز لأخذ الثأر زمن الهادى العباسى فاستشهد فى وقعة فنج، ومن قال: إن مولانا إدريس أول داخل للمغرب يعنى المغرب الداخلى الأوسط فلا ينافى تقدم دخول عمه إلى المغرب الأدنى. انتهى. وعليه ملاحظات:

الأولى: أن هذا الجمع لا يتأتى على قول ابن خلدون ومن وافقه إن دخوله للمغرب متأخر عن دخول شقيقه الإمام إدريس، ولا على قول مصعب وابن حزم، وابن جرير، والمسعودى ومن وافقهم أنه لم يدخله أصلاً.

الثانية: أن قوله تقدم دخول عمه سهو وصوابه أخيه.



الثالثة: أن جعله تلمسان وما حوله من المغرب الأدنى خطأ بل ذلك عندهم من المغرب الأوسط، بل تلمسان هي قاعدته كما في «جنى زهر الآس» و«الدر النفيس» وأصله لابن خلدون وغيره، وقد قدمنا ما بين ابن خلدون وغيره من الخلاف في تفسير المغارب.

وفاته: اختلفوا في سنة وفاته، ف قيل: سنة خمس وسبعين ومائة، وعليه جرى النوفلى، وابن خلدون، والبكرى، والتنسى، والجزنائى، وابن قنفذ وهو المرقوم فى المشهد الإدريسى، وقيل: سنة ست وسبعين ومائة وبه صدر فى «الجدوة» ولم نره لغيره، وقيل سنة سبع وسبعين ومائة وعليه اقتصر ابن أبى زرع والحلبى وغيرهما.

واختلفوا أيضا فى شهر ويوم وفاته ف قيل: فاتح ربيع الأول وعليه اقتصر فى «الدر النفيس» ولم نره لغيره، وقيل: منسلخه وعليه اقتصر فى «الجدوة» وقيل مفتتح ربيع الثانى وعليه اقتصر ابن أبى زرع ونحوه للكلبى فى «الأنور» وقيل منسلخه وعليه اقتصر البكرى والجزنائى.

وعلى ذلك انبنى قدر مدة الخلافة لهذا الإمام فعلى أن البيعة فى سابع ربيع الأول والوفاة فى منسلخ ربيع الثانى من عام سبعة وسبعين، وهذا أقصى الأقاويل المتقدمة تكون مدة الخلافة خمس سنين وأربعا وخمسين يوما.

وعلى أن البيعة فى أول رمضان، والوفاة فى منسلخ ربيع الثانى سنة سبع وسبعين، تكون المدة أربع سنين وثمانية أشهر.

وعلى أن البيعة رابع عشر رمضان والوفاة منسلخ ربيع الثانى سنة سبع وسبعين، تكون المدة أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أو ستة عشر يوما، فالأول على كمال شهر البيعة، والثانى على نقصانه.

وعلى أن البيعة سابع ربيع الأول والوفاة منسلخ ربيع الثاني سنة خمس وسبعين تكون المدة ثلاث سنين وشهرين اثنين عدا ستة أيام.

وعلى أن الوفاة فى متم ربيع الأول من سنة خمس وسبعين والبيعة سابع ربيع الأول، تكون المدة ثلاث سنين عدا خمسة أو ستة أيام.

وعلى أن البيعة فاتح رمضان والوفاة منسلخ ربيع الثاني عام خمسة وسبعين، تكون المدة سنتين اثنين وثمانية أشهر.

وعلى أن البيعة فيما ذكر والوفاة فاتح ربيع الثاني سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين اثنتين وسبعة أشهر ويوما واحداً، وإن كانت البيعة فاتح رمضان والوفاة منسلخ ربيع الأول سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين اثنتين وسبعة أشهر لا غير.

وعلى أن البيعة فيما ذكر والوفاة فاتح ربيع الأول سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين اثنتين وستة أشهر ويوما واحداً.

وعلى أن البيعة فى رابع عشر رمضان والوفاة فى منسلخ ربيع الثاني سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين وسبعة أشهر، وستة أو سبعة عشر يوماً.

فإن كانت الوفاة فاتح ربيع الثاني والموضوع بحاله كانت المدة سنتين اثنتين وستة أشهر وسبعة أو وثمانية عشر يوماً.

فإن كانت الوفاة فى منسلخ ربيع الأول والموضوع بحاله، كانت المدة سنتين اثنتين وستة أشهر وستة أو سبعة عشر يوماً.

فإن كانت الوفاة فاتح ربيع الأول والموضوع بحاله، كانت المدة سنتين اثنتين وخمسة أشهر وثمانية أو سبعة عشر يوماً.

فهذه تفاصيل المدة التى انبتت على الخلاف فى تاريخى البيعة والوفاة وقد علمت أن أقصاها خمس سنين وأربعة وخمسون يوماً، ومنه يعلم أن ما وقع فى «الجدوة» و«الدر النفيس» من أن المدة خمس سنين وسبعة أشهر، إنما هو غلط

محض مخالف للأقوال كلها، وقد نبه على غلطهما في «سلوة الأنفاس» وإن لم يستوعب ما فصلناه.

## ٨٨ - إدريس المعروف بإدريس الأنور والأزهر والتاج والمنى.

باني فاس ودفن بها رضى الله عنه وأرضاه.

حاله: كان إماماً راوية عارفاً بأحكام السنة والكتاب، واقفاً عند حدّهما مؤتمراً بأوامرها، منزجراً بزواجها، قائماً بحدود الله لا تأخذه في الله لومة لائم، غضبه في الله ولله ورضاه كذلك، أمّاراً بالمعروف نهياً عن المنكر، ورعاً جواداً كريماً شهماً صنديداً، سياسياً ماهراً مقتدراً، فصيحاً بليغاً، ناظماً ناثراً ذا عقل راجح وحلم واسع، وإقدام فى مهمات الأمور وحزم وصرامة، يباشر الحروب بنفسه، ويبلّى البلاء الحسن، مع ثبات جنان ورسوخ قدم، وطلاقة وجه وبشر وارتياح عند لقاء العدو وفي ميادين القتال وخصوصاً إذا حمى الوطيس.

بويق له وهو ابن إحدى عشرة سنة، وذلك يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة ثمانية وثمانين ومائة، وقيل سابع ربيع الأول. قيل الذى أخذ له البيعة هو راشد مولى والده وكافله ومربيّه، وقيل: مات راشد قبل أخذ البيعة له، والذى أخذ له البيعة هو أبو خالد يزيد بن إلياس العبدى.

ولما بويق له صعد المنبر وخطب الناس، فقال: الحمد لله، أحمده وأستعين به وأستغفره وأتوكل عليه وأعوذ بالله من شر نفسى ومن شر كل ذى شر، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الثقلين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أيها الناس، إنا قد ولينا هذا الأمر الذى يضاعف للمحسنين فيه الأجر وللمسئى الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا،

٨٨ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ١٦٠.

فإن ما تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدوه عندنا، ثم دعا الناس إلى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته، فتعجب الناس من فصاحته ونبله وقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه، ثم نزل فسارع الناس إلى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يديه فبايعه كافة قبائل المغرب، من زناتة وأوروبة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر فتمت له البيعة وتوطد له الملك وقويت جنوده وعظم سلطانه وأشيعه، وصارت الوفود تنسل إليه من كل حذب، وقصد الناس إليه من كل مكان من بلاد إفريقية والأندلس، فسر بذلك سرورا زائداً وأكرم وفادتهم واصطفاهم وقربهم إليه، وركن إليهم.

فمن الوافدين عليه: عمير بن مصعب، وعامر بن محمد بن سعيد القيسى الفقيه الورع وأبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي، وداود بن القاسم بن إسحاق ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب استوزر الأول واستقضى الثاني واستكتب الثالث وقرب الرابع من دسسته وخالطه بنفسه واصطفاه لأنسه.

ثم لما تبهر استعمار الوافدين عليه من المشارق والمغارب وضافت بهم مدينة وليلي اشترى مواضع أرض فاس من ملاكها بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك، وشرع في بناء المدينة يوم الخميس غرة ربيع الأول عام اثنين وتسعين ومائة، قيل: كان يعمل فيها بيديه مع الصنائع والفعلة والبنايين تواضعا منه لله تعالى ورجاء الأجر والثواب. أسس أولا عدوة الأندلس وسورها، وبعدها بسنة أسست عدوة القرويين، ولما فرغ من بناء المدينة انتقل إليها واستوطنها واتخذها دار ملكه ومقر كرسى إمارته.

وفي سنة سبع وتسعين ومائة خرج لتمهيد البلاد ومحو آثار دعوة الخوارج من الصفرية ومذهب الواصلية الذي كان سائداً ومنتشرا، فوصل إلى سوس واحتل مدينة نفيس ودخل في حربه قبائل المصامدة وحارب قبائل برغواطة أهل تامسنا، ثم عقد معهم الصلح ورجع لفاس.

وفى سنة تسع وتسعين ومائة خرج لتمهيد البلاد الشرقية فدخل تلمسان،  
وخضع لإمامته ملوك بنى خزرج من مغراوة واعترفوا بإمامته، وأقام بتلمسان ثلاثة  
أعوام فنظر فى أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها وصنع فيها منبراً، ثم رجع إلى  
مدينة فاس فلم يزل بها إلى أن توفى.

مشيخته: أخذ عن موله راشد، وعامر بن محمد بن سعيد القيسى الفقيه  
الصالح الورع، سمع من مالك، وسفيان الثورى، وروى عنهما كثيراً أخذ عنه  
موطأ مالك وأخذ عن غيرهما.

شعره: من ذلك قوله رضى الله عنه فيما رواه عنه أبو هاشم داود بن قاسم  
الجعفرى:

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| لو مد صبرى بصبر الناس كلهم | لكل فى روعتى أو ضل فى جزعى   |
| بأن الأحبة فاستبدلت بعدهم  | هماً مقيماً وشملاً غير مجتمع |
| كأننى حين يجرى الهم ذكرهم  | على ضميرى مجبول على الفزع    |
| تأوى همومى إذا حركت ذكرهم  | إلى جوانح جسم دائم الهلع     |
| وقوله:                     |                              |

|                                        |                                      |
|----------------------------------------|--------------------------------------|
| أبهلول <sup>(١)</sup> قد شمتت نفسك خطة | تبدلت منها عولة <sup>(٢)</sup> برشاد |
| أضلك إبراهيم من بعد داره               | فأصبحت منقاداً بغير قياد             |
| كأنك لم تسمع بكيد ابن أغلب             | غداً آخذاً بالسيف كل بلاد            |
| ومن دون ما متتك نفسك خالياً            | ومناك إبراهيم شوكة قتاد              |

---

(١) فى هامش المطبوع: «أبهلول هذا هو داعية الخوارج وعالمهم كان ممن بايع مولاي إدريس  
والد المترجم».

(٢) فى هامش المطبوع: «أى جوراً وميلاً عن الحق».

ولادته: ولد بمدينة ولىلى يوم الاثنين ثالث رجب الفرد سنة سبع وسبعين -  
بتقديم الموحدة على العين فيهما - ومائة وقيل سنة خمس وسبعين والخلاف فى  
ولادته مبنى على الخلاف السابق فى وفاة أبيه إذ لا خلاف أن أباه تركه حملا وأن  
مدة حملة لم تتجاوز القدر المعتاد.

وفاته: توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة وقيل  
توفى ليلة اثنى عشر من جمادى الأخيرة عام ثلاثة عشر ومائتين وسنه ثمان  
وثلاثون سنة وسبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من حينه ودفن حيث  
قبره الآن من الحضرة الفاسية.

٨٩ - إدريس بن السلطان العادل المولى سليمان بن السلطان سيدى محمد  
ابن السلطان المولى عبد الله بن فخر ملوك سلاطين المغرب المولى  
إسماعيل.

حاله: فقيه علامة عامل مطلع له فى الحديث القدم الراسخ، وفيه وفى غيره  
من سائر الفنون اليد الطولى، ناسك ذاكراً، ذو هبة ووقار، وجلالة فى أعين  
الخواص والعوام، ذو أخلاق جميلة، وأفعال حميدة، وسجايا كريمة، واسطة عقد  
الصدور كثير التلاوة والأذكار. وكان يدرس العلوم بداره ومن عادته أنه يحضر  
أوانى الأتاي<sup>(١)</sup> وقت درسه وإذا رأى من الطلبة مللاً أو سوء فهم أمر خادمه  
بمناولتهم كئوس الأتاي حتى تتشجذ أذهانهم ويتنفى مللهم، ثم يعود للدرس وكان  
يطيل دروسه.

مشيخته: أخذ عن والده «الورد الناصرى» و«دلائل الخيرات» بما معه من  
الأحزاب، وهو أخذه عن والده السلطان سيدى محمد بن عبد الله بمكناسة الزيتون  
عام ستة وتسعين ومائة وألف، وناولته إياه بالمسجد الأزهر المعروف اليوم بجامع  
(١) فى تذكرة المحسنين فى الموسوعة ٢٤٤٣/٧ ترجمة: محمد بن عبد الله العلوى ت سنة  
١٢٠٤هـ: «وفى أيامه أظهر الله بالمغرب عُشْبَةَ الأتاي المشروب بسائر أقطاره، وهو من  
خصائص صاحب الترجمة وأثره...».

الأروى كما رواه عن غيره، وأخذ عن شيوخ العلم الذين كانوا بالحضرة المكناسية فى الدولة السلیمانیة لا تحضرنى الآن أسماؤهم.

الأخذون عنه: منهم الفقیه العدل السید أحمد المدعو قرورو بن إدريس أجانا المترجم بعد صاحب الترجمة، والحاج محمد زغبوش، رحم الله الجميع بفضلهم.

وفاته: حدثنى بعض العدول المبرزین العلماء الموثوق بأمانتهم أنه حدثه الولی الصلح، سیدى العربى بن السائح، بأنه كانت بينه وبين المترجم وصلة وصالح أخوة ومحبة زائدة، حتى إنه كان لا يمر عليهما يوم لا يجتمعان فيه ولو بباب دار المترجم يتذكرون فى المسائل العلمية والمعارف الذوقية، وأنه كان ظهر يوم خمیس جالسا مع صاحب الترجمة بباب داره يتحدثان فيما حل بأهل مكناس من كثرة الموت ويأسفان على كثرة من أصيب بذلك الحادث الجلل، وإذا بالمترجم التفت إليه وقال: لعلنى يا سیدى العربى من زمام من يصاب بهذا الواقع، غير أننى أسأل الله أن أكون سبب الفرج عن أهل البلد واللطف بهم، قال: ثم بقينا بعد ذلك نتحدث حتى حان وقت العصر فودعته وذهبت لدارى.

ومن غده بلغنى بعد صلاة الجمعة نعيه فرعبت وفزعت لداره لأتيقن الخبر فوجدت أهله فى تجهيز جنازته، ولما سألت عن كيفية الواقع أخبرت أنه بعد فراقنا دخل لداره وتوضأ وصلى العصر ثم توجه بصحبة ولده المولى سرور لزيارة الشيخ محمد بن عيسى الفهدى، وبعد الزيارة طلب من مقدم الضريح إحضار أعيان أولاد الشيخ إليه، فلما حضروا واجتمعوا جميعا بداخل قبة الضريح طلب منهم موضعا لإقباره داخل الضريح فأجابوه بعد تردد جميعا لذلك، ولما تم الأمر بينهم وجه ولده المذكور للإتيان له بالثمن الذى وقع التراضى عليه فأتاه به وسلمه لهم، وعين المحل الذى اختاره لنفسه قرب الدربوز على يمين الداخل لقبة الضريح المذكور، ثم رجع لداره قرب المغرب وبعد صلاة العشاء الأخيرة نزل به ذلك

الحادث، ولم يزل الأمر يشدد إلى أن ختمت أنفاسه عند أذان المؤذن الأول زوال يوم الجمعة أوائل شعبان عام واحد وسبعين ومائتين وألف.

قال سيدى العربى رضى الله عنه: فازددنا يقينا بأنه ممن له عند الله منزلة كاملة، وأنه كوشف بما يحل به وقد حقق الله رجاءه فى اللطف بعباده، فكان رحمه الله خاتمة المصابين بذلك الحادث.

#### ٩٠ - إدريس بن العلامة السيد التهامى أجانا.

حاله: فقيه علامة خاشع متواضع زاهد ناسك ورع، كان يدرس فى المسجد والقضيب بيده، ولا يدرس التوحيد إلا فى محل خاص مستترا عن العوام، وتخرج على يديه طلبة كثيرون، وكان يؤدب الصبيان احتسابا لله تعالى، ورحل إلى الحج راجلا على ما أخبرنى به من وثقت بخبره من أهل العدل، ودخل مصر وقرأ بها.

وكان يذهب كل يوم أربعاء وخميس لسجن بلاده المكناسية ومرستانها يخدم المساجين والمعتهوين ويقضى حوائجهم بنفسه، ويقول: لى فى ذلك فائدتان: وعظ نفسى، وتعريفها بنعم الله عليها ومعافاتها مما ابتلى به كثير من الخلق من السجن والقيود والأغلال وغير ذلك كى تنزجر وترتدع وتقبل بكليتها على شكر المنعم وحمده.

جعل كفته بصدر بيته يشاهده ويعتبر ويتذكر به كلما دخل وخرج.

وله أحوال كثيرة من هذا النوع، وكان يخطط أكفان الموتى ويياشر غسلهم ويحترف بتفسير الكتب وإصلاح المتور منها ويبيعها ويتعيش بثمنها.

الآخذون عنه: فممن أخذ عنه الوزير الفقيه السيد موسى بن أحمد، وأخوه السيد عبد الله عامل فاس وزرَّهون، والسيد عبد السلام بن محمد بن الحاج



التهامى بن عبود، والسيد أحمد بن عمر الصوفى المتقدم الذكر، والفقيه العدل السيد محمد بن سميّه فرموج، والفقيه السيد أحمد بصرى المترجم قبل ومن فى طبقتهم.

شعره: من ذلك قوله ومن خطه نقلت: جمع كاتبه سامحه الله بمنه كتب صحيح البخارى على ترتيبهم بصورة المخاطبة لغيره وأمره بما تضمنته معانيها فى هذه الأبيات وهى:

|                                 |                              |
|---------------------------------|------------------------------|
| إذا رمت يا ذا الفضل عزا وأن ترى | أخا شرف فى الناس للحق مبصرا  |
| تحل بإيمان وعلم تسد به          | وكن بوضوء واغتسال مطهرا      |
| ولا تقرب الخيض الخسيس فإنه      | أذى وتيمم للصلاة مبادرا      |
| لدى وقت أد جمعة ثم عجلن         | وصل صلاة العيد والوتر أخرا   |
| ومد للاستسقا يدى متذلل          | وكن فى كسوف للركوع مكررا     |
| وإياك أن تلغى سجدود تلاوة       | وفى السفر المرضى صلاتك قصرا  |
| وعند هجوع الناس كن متهجدا       | وعجل سجود السهو إن صرت ذاكرا |
| ومهما مررت بالجنائز فاعتبر      | وأد زكاة المال والفطر صابرا  |
| وإن كنت مسطاعا فبادر بحجة       | وزد عمرة واحلل إذا كنت محصرا |
| ولا تؤذنين صيدا إذا كنت محرما   | وأد جزاء إن فعلت لتطهرا      |
| وكن عارفا فضل المدينة واجتهد    | بصوم فإن الصوم للنفس قاهرا   |
| وفى شهره قم للتراويح واطلبن     | بآخر ذاك ليلة القدر ساهرا    |
| ولا تك فيه لاعتكافك تاركا       | وإياك عند البيع تفعل محظرا   |
| وإن كنت مسلما وإن كنت شافعا     | لشخص فكن بالحق للحق ناصرا    |

وكن للأجير فى الإجارة مرضيا  
وإياك والتوكيل فى الحرث واشربن  
ودع عنك يا ذا الفضل كل خصومة  
ولا تقربن نحو المظالم والزمن  
وإن حزت رهنا كنت فيه مخصصا  
وفى هبة اشهد وصالح بشرطه  
وجاهد عدو الله حق جهاده  
وكن بجميع الأنبياء مصدقا  
هم حضروا معه المغازى وقد شروا  
وواظب على التفسير للذكر واعرفن  
ونفسك هذب بالنكاح وجانبن  
وأطعم صديقا من عقيقتك التى  
ومن طيب الأموال قرب ضحية  
ومهما مرضت فانبذ الطب لابسا  
وذا البيت فاستأذن ولا تك ملغيا  
وبالقدر المقدور ويحك صدقن  
وكفر يميننا إن حثت وصحن  
وإذ ما حدود قد أقيمت فسلمن  
وعن سبب الديات نفسك باعدن

ولا تلزمه بالحوالة مجبرا  
زلالا والاستقراض عجله للورى  
ملازمة والقط إذا كن مشهرا  
لدى شركة حكما لها قد تقررا  
وعجل بعق للرقاب محررا  
وأوص بخير المال إن صرت محضرا  
وفى بدء هذا الخلق كن متفكرا  
وصحب رسول الله فضل على الورى  
نفوسهم لله حقا بلا امترا  
فضائله إن كنت للرشد مبصرا  
طلاقا وللاِنفاق للأهل كثيرا  
ذبحت وكن للصيد بالحل عاقرا  
ولا تشربن يوما نبذا مغيرا  
حلى أدب واضرع لمولاك صابرا  
دعاء وخوف بالزمان وذكررا  
ولا تك للأيمان والنذر مكثرا  
فرائض وأقسمها بعلم وحررا  
ولا تك يوما للمحارب ناصرا  
وذا ردة إن تاب بالفوز بشرا

ولا تكرهن شخصا على فعل زلة  
وعن فتن كن قاعدا متقاعدا  
ولا تكثرن قول التمنى وصدقن  
ومعتصما كن بالكتاب وسنة  
وكثر على خير الأنام محمد  
عليه صلاة الله ثم سلامه  
وآله طرا والصحابة كلهم  
قلت: قد أبدع رحمه الله فى الصنيع، وبرهن على أنه لا معرفة له بعلم  
القافية والكمال لله.

وفاته: توفى أوائل دولة سيدنا الجد المولى عبد الرحمن بن هشام على ما  
أخبرنى به بعضهم، وقد كان عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف حيا يرزق،  
وضريحه بروضة سبعين لحية بين ضريحى المولى عبد الله بن حمد والسيد أحمد  
الحارثى، برد الله ثراه بمه.

٩١ - إدريس بن الطيب بن محمد بن حم بن إدريس بن أحمد بن عبد  
الواحد - يدعى وحوود - بن محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن على  
منون الشريف الحسنى.  
شيخ الجماعة بالحضرة المكناسية.

حاله: علامة مشارك متفنن نقاد، مقرئ أستاذ مجوّد، له اليد الطولى  
والمهارة الكاملة فى علم الأوقاف وسر الحرف، كان يؤدب الصبيان على عهد  
والده، ثم تصدر للشهادة بسماط عدول العاصمة، وقفت على عقد إشهاد له بخط  
يده بتاريخ سابع عشر ربيع الأول عام اثنين وعشرين ومائتين وألف.

ثم انتخب للإمامة بمسجد القصبية الإمامية المعروف اليوم بجامع القصبية فكان الإمام الراتب به، ثم آخر عنها، وولى مكانه سيدنا الجد المولى على بن محمد بن عبد الملك بن زيدان، وسبب ذلك أن السلطان العادل مولانا سليمان جاء يوما للمسجد المذكور بقصد أداء فرضه جماعة فيه، فاتفق أن الإمام الراتب تخلف لعذر وكان الجد المذكور من الملازمين المواظبين على الجماعة، فأمر مولانا سليمان بإقامة الصلاة على الجد وأمره بالتقدم فامثل وأم، ومن ذلك الوقت صيره الإمام الراتب به، ثم لما علم المترجم بالواقع أبدى أعذارا مقبولة أباحت له التخلف، فعين إماما راتبا بالضريح الإسماعيلي، رحم الله الجميع بمنه.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن العباس آتى الترجمة في المحمدين في جماعة، ولم أقف على وفاته.

#### ٩٢ - إدريس بن الطيب بن اليماني بن أحمد بو عشرين.

حاله: من بيت علم وديانة وفضل وصيانة، قال في «خمائل الورد والنسرين»: إن بنى العشرين من الخلف الصالح الأنصارى الذين ظهروا بأرض المغرب وشاع فضلهم وظهرت آثارهم من الخير والصلاح وشعائر الدين ونشر العلوم الشرعية، قال: والذي تحقق عندنا في أول استقرارهم بالديار المغربية أن انتقلهم لهذه العدو كان من عدوة الأندلس، وأن أولهم الذي خرج من الأندلس هو أبو الحجاج يوسف البياسي، وكان من سادات زمانه علما ودينا وضخامة قدر وجلالة جاه، قال: والذي رويناه عن بعض الأثبات الثقات المعمرين الأخباريين من أهل مكناسة وذكرته للشيخ العلامة الكاتب سيدى اليماني رحمه الله في حكاية ذكرتها في «الجيش العرمم» فلما عرضت عليه ذلك الذى نذكره الآن أقره وصدق الذى حكاه لى، والذى حدث به ذلك المحدث المذكور، هو أن انتقلهم كان من تونس إلى تلمسان، ثم إلى فاس، ثم إلى سلا، ثم إلى جبال الزيب، ثم إلى مكناس، فلما ذكرت ذلك للفقير المرحوم سيدى اليمنى، قال: ذلك صحيح، إلا

أن الذى أعرفه أن الانتقال من تونس إنما كان إلى فاس لا إلى تلمسان ثم إلى فاس . انتهى . وقد زيف ما يخالف هذا مما قاله صاحب وفيات الأعيان فى ترجمة البياسى .

وكان المترجم فقيها أديبا كاتباً مجيداً وجيهاً استوزره السلطان سيدى محمد ابن عبد الرحمن بعد وفاة والده السيد الطيب صبيحة يوم السبت تاسع عشر شعبان عام ست وثمانين ومائتين وألف وذلك بالحضرة المراكشية، فقام بأعباء الوزارة أتم قيام مع الجد والحزم والنصح فى الأعمال والإخلاص لجانب الأمير والمأمور .

وقد كان رحل إلى الحج قيد حياة والده، وذلك عام تسع - بتقديم التاء على السين وسبعين بتقديم السين على الموحدة - ومائتين وألف فأدى فريضة الحج وزار قبر خير الأنام، وتاقت نفسه للجوار فاشتري داره الشهيرة بالمدينة المنورة، ثم آب للديار المغربية، ثم أعاد الرحلة إلى الحج فاتح عام أربعة وتسعين بأهله وذويه، وأقام بمكة إلى فاتح عام سبعة وتسعين، وفيه رحل لطيبة الطيبة بقصد الجوار فطاب له بها المثوى والقرار .

وفى فاتح اثنين وثلاثمائة وألف دخل مصر والآستانة العظمى لمعالجة ألمِّ ألمِّ به فلقي من السلطان عبد الحميد ورجال دولته تكربة وإجلالاً، ثم عاد إلى المدينة .

ثم فى فاتح سنة ثلاث وثلاثمائة وألف رجع إلى الديار المغربية لصلة رحم قرابته وقضاء بعض مهماته، فوجد السلطان بالثغر الرباطى فأجله واعتنى بشأنه ورافق جنبه العلى إلى الحضرة المكناسية، فراوده وألح عليه فى المقام على وظيفه فاعتذر واستعفى وأبى إلا العود لجوار المصطفى، فساعدته الإسعاد بالمساعدة وعاد لمدينة خير رسول معرضاً عن كل ما يشبطه ويلهيه، وأقبل على عبادة ربه حتى أتاها اليقين .

شعره: من ذلك قوله مؤرخاً تمام بناء روضة الأنيق بالمدينة المنورة

بالله والجار طه      حل الهنا والتداني  
والفوز دنيا وأخرى      بنجل ابن اليماني  
إذ تم الله قصدا      له بأسنى مكان  
تاريخه فى حروف      (أبشرب به بأمان)

ولادته: ولد بمكناس فاتح عام ستين بتقديم السين على المثناة فوق ومائتين  
وآلف كما أفادنى بذلك ولده الفقيه الحى الأديب السيد الحاج محمد خليفة عامل  
فاس فى العصر الحاضر.

وفاته: توفى بالمدينة يوم الأربعاء خامس رجب سنة خمس وثلاثمائة وآلف  
وصلى عليه بعد فريضة الظهر من يومه بالروضة الشريفة ودفن ببقيع الغرقد بين  
مشهد سيدنا إبراهيم بن خير العالمين ومشهد إمامنا مالك رضى الله عن الجميع.

### ٩٣ - إدريس بن أحمد بن التهامى مسامح.

حاله: كان فقيها أستاذا مقرئاً علامة متقناً له مشاركة حسنة فى الفقه  
والأصول والحديث والنحو والبيان والمنطق والقراءات وكان يؤدب الصبيان إلى أن  
اصطفاه وزير وقته السيد محمد بن العربى الجامعى لتأديب أولاده، فصار يظعن  
بظعنه ويقيم بإقامته فى التنقلات السلطانية كلها إلى أن اخترمته المنية بالحضرة  
الفاسية.

مشيخته: أخذ عن العلامة الصالح السيد المختار الأجرأوى وهو عمدته وعن  
المفضلين السوسى، وابن عزوز، وغيرهم ممن هو فى طبقتهم.

#### ٩٤- إدريس بن أحمد الخطابي الزرهوني.

حاله: كان فقيها عدلا رضا، تولى نيابة القضاء بالزاوية الإدريسية عن قاضي مكناسة ونواحيها السيد أحمد بن سودة المري، إلى أن أعفى لعجزه وكبر سنه، وأقيم مقامه ولده المترجم أنفا، وقفت على رسم بخطابه مؤرخ بسبع وتسعين ومائتين وألف.

وفاته: توفى ليلة الخميس مهل قعدة الحرام عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور بمقبرة خيبر من الزاوية.

#### ٩٥- إدريس بن أحمد بن محمد البخاري المدعو البرنوصي المكناسي النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه وجيه حيسوبي، جليل القدر نبیه، له مهارة كبيرة في الهندسة والرماية بالمدفع والمهراس.

تولى الأمانة على دفع مؤن الجيوش السلطانية إلى أن مات عنها وحضر مع السلطان المولى الحسن في وقعة فاس الشهيرة الآتية الشرح والتوضيح بعد بحول الله، وهو الذي تولى رمى منار مدرسة الطالعة من فاس، ثم لما مرض بفاس واشتد به المرض طلب التوجه لأهله وذويه بمكناس، فأذن له فاخترمته المنية قبل وصوله.

وفاته: توفى يوم الأربعاء ثامن عشرى محرم الحرام فاتح عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف بأرض سايس، ودفن من الغد بضريح الولي الكامل سيدي محمد ابن عيسى المعروف بالشيخ الكامل يمين الداخل للضريح من باب المعراض.

#### ٩٦- إدريس بن المكي البخاري.

حاله: كان متوليا رياسة الجيوش المخزنية، وقورا مهابا مهما، حل بالبساط

الملوكى، يقوم إجلالا له كل من به من الجيوش ولم يكن ذلك لأحد غيره ممن تقدمه أو تأخر عنه غير الوزير الصدر، وكان جوادا كريما شجاعا مقداما فصيح اللسان، قوى الجنان، ثبتا فى سائر شئونه، عارفا بالسياسة ونواميس المخزن وضوابطه، له مهارة كاملة فى الحساب والأوراق واستخدام الجان، يتقن رواية ورش وقالون والبصرى إتقاننا جيدا، خيرا دينيا، ذا حزم وعزم، لا تكاد تجده فى وقت من الأوقات على غير طهارة مهما حدث إلا وأسرع للوضوء حضرا وسفرا، تقى نقى، ذاكر ناسك.

أخبر عنه بعض خواصه أنه كان يصبح تحت وسادته كل يوم مائة مثقال فيدفعها للقيم بصائر داره فيصرفها بتمامها ولا يدع منها شيئا، وأنه كان يغلق عليه بيته فى بعض الأحيان ويأمر أهله بالتنحى عنه وعدم الوصول إليه إلا بعد إذنه لهم بالدخول عليه، فيسمعون كلام الغير معه، فإذا قضى أربه صفق إذ كان ذلك علامة على الإذن لهم فى الدخول عليه، فإذا دخلوا عليه وجدوه وحده مستقبلا القبلة وسبحته بيده وقد تواتر هذا وأمثاله عنه.

وكان لا يهاب لا رئيسا ولا مرءوسا، ومن عادته التى لا تتخلف إذا أمره السلطان بالدخول عليه أدخل يده تحت ثيابه وحل السراويل فإذا قام أوهم الرائي أن السراويل حل واشتغل بشده هنيهة قليلة، ثم يدخل على السلطان فلا يواجهه بما يكره ولو وشى له به، وربما صرح السلطان بأنه مهما رام مشافهته بسوء خرس لسانه بمجرد وقوع بصره عليه.

وفاته: توفى بمكناسة عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف ودفن بالزاوية الناصرية.

#### ٩٧- إدريس بن الحاج حفيد برادة الفاسى.

حاله: كان شابا نجيبا، حيا أريبا، فقيها نبيها، ذا سمت حسن، استخدم أمينا على الصائر على الدار السلطانية بالحضرة المكناسية، ودرس بجامعها الأعظم



«الخلاصة» و«الآجرومية» وختمها ثم أعفى ورجع لمسقط رأسه فاس، ثم نقل لرباط الفتح وامتحن رحمه الله بالسجن، وبرباط الفتح كانت منيته.

مشيخته: أخذ عن شيخنا ابن الجيلاني ولازمه في «المختصر الخليلي» وغيره، وكان القارئ لديه أيام حضوري دروس الشيخ المذكور زمن رحلتى فى طلب العلم بالحضرة الفاسية.

الآخذون عنه: أخذ عنه قاضى زَرْهُون الحالى ابن عمنا سيدى محمد بن إدريس، والفتيهان العدلان المبرزان: السيد عبد الله المدعو جمعان، والسيد محمد ابن سمية التراب ومن فى طبقتهم.

٩٨- إدريس بن القائد محمد بن أحمد الفيضى الأصل المكناسى الدار والإقبار.

حاله: فقيه نبيه ميقاتى ماهر متضلع حيسوبى متقن مطلع.  
وفاته: توفى بعد التاسعة من هذا القرن.

٩٩- إدريس بن شيخ الجماعة القراء فى وقته الأستاذ البركة السيد اليزيد.

حاله: كان فقيها أستاذا نحويا مقرئا مجودا، حسن الصورة، حسن الصوت، حلو التلاوة، تأتى الناس لاستماع قراءته من الحومات البعيدة، يحفظ السبع حفظا متقنا، فاق أقرانه بل شيوخه، فكان حامل لواء القراء فى زمانه.

وكان أول أمره لا يحفظ شيئا، بعيد الإدراك والفهم يسخر منه صغار الولدان، ولما ضاق ذرعا من ذلك رحل إلى الجبل وأظنه جبل العلم فمكث ثمَّ زمانا طويلا يتعاطى التعليم بقريحة وقادة وجهد واجتهاد حتى وقع له شبه اختلال وأنف من الاجتماع بالناس، فصار يذهب بلوحه لغابة قرب جبل العلم حيث لا يصل إليه أحد، ودام على ذلك مدة حتى لقى بعض الأخيار ولقنه قراءة بعض

السور القرآنية، فذهب ما به وفتح له وذلك له الصعاب وحصل على حظ وافر من المعلومات.

ثم رجع لمكناس بعد وفاة والده حافظاً ضابطاً متقناً، واشتغل بالإقراء والتدوير والتدريس، وأقر له بالتفوق الفقهاء والقراء المرءوس منهم والرئيس، درس «درس الشاطبية» و«تصوير الهمز» وغير ذلك مما لم يتصدر لتدريسه غيره، ويقال إنه من آل البيت الأطهار حسنى إدريسى والله أعلم، وكان يحترف ببيع الدقيق ولسانه رطب بالتلاوة.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول بن عزوز وغيره من علماء الجبل وأساتيده، وعن السيد العربى بن شمسى.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا العرائشى، وقاضى الأحواز أبو العباس الناصرى، والعربى بادو، وجماعة.

وفاته: توفى مطعوناً فى ثالث رمضان عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، وهو يصلى التراويح، يقرأ بحرف حمزة فى قوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً وذلك بمسجد ضريح ولى الله سيدى أحمد بن خضراء.

١٠٠ - إدريس الوزير بن محمد بن إدريس العمراوى بن محمد بن إدريس ابن محمد بن إدريس.

ثلاث مرات.

يرفع نسبهم إلى محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل، كان مقام سلفهم بقبيلة زمر من بنى عمر منهم من عهد قيام مغراوة على الأدراسة واختفاء الأدراسة فى أعمار القبائل كذا فى «الجيش العرمم».

حاله: كريم السجايا، طويل النجاد، صادق اللهجة، حازم ضابط فقيه، نبيه

أديب لبيب، من أبرع الكتاب وأنبههم، آية في الترسيل وقرض الشعر، صاحب أخلاق حسنة، وأفعال مرضية مستحسنة، سعاء في قضاء حوائج العباد، هين لين مقتصد بشوش.

وجهه مستوزره السلطان سيدى محمد سفيراً لفرنسا فى ثالث عشر قعدة الحرام عام ستة وسبعين ومائتين وألف، وكان وصوله لباريز عشية يوم الأربعاء متم الشهر، وأقام بباريز اثنين وأربعين يوماً، وقد ألف فى رحلته هذه رحلة سماها «تحفة الملك العزيز بمملكة باريز» وصف فيها ما شاهده فى سفره من المنتزهات ودور الآثار والسكك والسلاح والسياسة والنظام والمدن التى دخلها والعوائد والأخلاق التى رآها وصفا كاشفا.

وقال: إن من جملة ما خاطبنا به وزير خارجية فرنسا منذ مقابلته لنا إن جميع مملكة فرنسا ممنونة ومتشكرة بإحسان مولانا السلطان مولانا محمد بإنعامه بهذه السفارة، وهى مبدأ كل خير بيننا فأجبناه بما يطابق كلامه وكلنا له بالمد الذى كَال لَنَا بِهِ.

واتفق أن وجد فى سفارته هذه عم السلطان فى احتضار، وفى يوم الأحد سادس يوم من يوم الدفن صدر الإذن لهم بمقابلة السلطان بعد الزوال بساعة ونصف، ولما مثلوا بين يديه خاطبه السفير بقوله: بعد أن نهدي أيها السلطان العظيم لمقامكم الرفيع التحية التى تناسب حضرة عظماء الملوك، نعلم جنابكم المعظم أن سيدنا ولى نعمتنا سلطان المغرب أيده الله وأعزه، وجهنى إليكم سفيراً لنسلم عليكم فى اسمه الشريف، ونجدد العهد بدولتكم الفخيمة، ونهنيكم بلسانه العزيز على ما منحكم الله من السلامة ويسر لكم من الجلوس على كرسى ملك أسلافكم العظام، وجمع كلمة الجنس وزوال ما فيها، ونين لكم ما عنده من السرور نصره الله بذلك على عادة الملوك المتحابين لا سيما مثل سلطنتكم التى لأسلاف سيدنا معها المحبة القديمة والمواصلة الأكيدة، ونقرر لكم ما عنده أعزه

الله من المحبة التى ورثها عن أسلافه والحرص على المحافظة على العهود والمواثيق التى تدوم بها وتتصل وتزيد المواصله، وهذا كتابه العزيز نتشرف بمناولته لمقامكم متضمن لما ذكرناه، ونحن نرجو من الله أن تكون سفارتنا هذه ووصولنا إليكم زائداً فى عقد المحبة وتوثيقها وتعليه بنائها، وأن لا تزال فى المستقبل تتجدد وتنمو وتعظم حتى يكثر نفعها ويعم خيرها على الرعيتين، كما أنا نشكر لحضرتكم هذه المقابلة التى قابلتنا بها الدولة وولاتها منذ خرجنا من بلادنا إلى أن وصلنا لحضرتكم، والبرور تلقونا به، ونذكره دائماً، وذلك صدر عن أمركم وعليه نجازيكم بالخير الكثير.

وكلما قرأت فصلا وقفت حتى يقرأ الترجمان عليه ترجمته حتى وصلت ذكر كتاب مولانا نصره الله فأخرجته وناولته إياه فقرب منى حتى قبضه بيده هنيئة وناولوه للوزير المذكور خلفه.

ثم أجابه السلطان بقوله: إنه لما بلغنا وفاة مولانا عبد الرحمن رحمه الله تأسفنا عليه غاية كما فرحنا بجلوس مولانا ابنه على التخت، لأن الشئ وقع فى محله.

وأما المحبة والمودة فهى عندى أعز من أن يضع ملك يده فى يدى أو أضع يدى فى يده ولعل سفارتكم تكون سبب الخير بين الدولتين، وكمال الاتصال بين الإيالتين.

وأما ما قابلتكم به رعيتنا من البرور والإكرام فأنا الذى أمرتهم بذلك، وهو واجب علينا فى حق كل رجل معتبر يأتى من عند دولة كبيرة سيما دولتكم التى هى أحب الدول عندنا، ولا يأتى تشويش بين الدولتين إلا من عدم المحافظة على الحدود.

وأما المطالب فلا أقصر فى قضائها على أكمل وجه، وسنأذن للوزير فى استماعها منكم والمفاوضة فيها معكم.

قال فأجبت به بأن مولانا نصره الله غير مقصر فى أمر الحدود، وحريص على إجراء الأمر فيها على القانون المعهود، وإن وقع شىء من رعاى الجيران وسفهاء الناس فعن غير رضا منه أيدى الله ولا موافقة له، ولا يزال يسعى فى زجر من يسعى فى إفساد ما بين الإيالتين بغاية إمكانه، وحيث يسر الله فى ثبوت المحبة والمودة فمباشرة أمر ذلك تسهل بحول الله .

فأجاب بأن ذلك هو الظن وهو غاية ما نحب .

قال ثم لما تم الكلام وسكت وسكتنا استأذناه فى الانصراف فأذن لنا فانصرفنا .

ثم وجه سفيرا للإصبان وكانت له حظوة ومكانة مكينة، ولا غرابة، فبيتهم من البيوت العريقة فى المجد وممن تقدمت لهم خدمات مخزنية، وستأتى ترجمة والده فى المحمدين بحول الله .

(شعره) من ذلك قوله

|                         |                         |
|-------------------------|-------------------------|
| رأيت غزالا يباب أسير    | يصيد القلوب بلحظ كسير   |
| رمانى بسهم من أجفانه    | فغادر قلبى لديه أسير    |
| فيا أيها الركب قولوا له | إذا ضاع قلبى بماذا أسير |
| وقوله :                 |                         |

|                    |                  |
|--------------------|------------------|
| يا راحة القلب مالى | عن حسن وجهك راحه |
| وكيف أبغى سلوا     | وأنت للقلب راحه  |
| فلا تردى محبا      | إن مد نحوك راحه  |
| تخذت وجهك روضى     | وروح قلبى وراحه  |

بالهجر كلمت قلبي      داوى بوصل جراحه  
وطال بالصبر شجنى      فلتطلقين سراحه  
فالبعد عنك عذاب      والقرب منك إراحه

وقوله فى رجب سنة ١٢٤٤ لما عزم مخدمه السلطان سيدى محمد على  
السفر للغرب:

ما لذى العيش مذ فارقت حضرتكم      كلا ولا طاب لى كأس ولا وتر  
بانت حياتى مذ بانت ركائبكم      وحال حال فلا عين ولا أثر  
أفديه من قمر بالقلب مطلعته      والقلب منزلة يحتلها القمر  
ركبت بحر الهوى فى حبه خطرا      وفى محاسنه يستحسن الخطر  
كم ليلة هاج أشواقى تذكره      واعتادنى المؤمن الفكر والسهر  
تبارك الله ما أحلى شمائله      ما العنبر الشحر ما الريحان ما الزهر

وقوله متشوقا لمراكشة الحمراء وأهلها:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة      بمراكش بين الأحبة ثاويا  
وهل أعبرن أم الربيع وأتركن      مهامه تامسنا هواء ورائيا  
وهل أردن من واد صبرة منهلا      ويبدو منار الكتبيين أماميا  
وقوله:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة      بمراكش حيث الغريب عزيز  
وهل أردن من واد صبرة منهلا      وهل يبدون لى رمرم وجليز

وقوله :

أنزلت رحلى ببابك  
أوى لظل جنابك

يا سيد الرسل إني  
وهل يخيب عبيد

وقوله :

يقول إذا عز الشفيع أنا لها  
جدير بأمداحي له أن أنالها

شفاعة خير الرسل أرجو غدا ومن  
شفاعته يرجو المسىء وإننى

وقوله :

فهذا زمان السعد قد أظهر البشرا  
وهذى بشارات السعود أتت تترا  
وجل برياض الحسن واقتطف الزهرا  
غزال بليل الشعر قد أطلعت فجرا  
وزارت على بعد الديار لنا بدرا  
وعهدى بأن الشمس لا تدرك البدرا  
وأزرت بقد الغصن والصعدة السمرا  
فأرسل للإتيان بالخبر الشعرا  
حمائم حلى آذنت باللقا جهرا  
وتسقيك من سلسال ريقها خمرا  
وكفل رداح ثقله أنحل الخصر  
له فى سويدا قلب سامعه مسرا

هنيئا أبا عبد الإله لك البشرى  
وهذى رياض الأئس تزهو أريضة  
فرد من زلال الود غير مكدر  
فقد وصلت من بعد طول تشوق  
سرت وظلام الليل أرخى سدوله  
عجبت لشمس زارت البدر فى الدُّجى  
حكى ظبية الوعساء جيدا وناظرا  
يشوق منها القرط صوت خلاخل  
وقد غردت من فوق غصن قوامها  
تريك عقود الدر عند ابتسامها  
ولا عيب فيها غير سقم جفونها  
وغير حديث قد حكى السحر رقة

فواصل بها وصل السرور ودم على ذرى المجد والعلواء مرتديا فخرا  
 وخزها كما شاء الوداد خريدة تفوق الذى أعطيت فى وصلها مهرا  
 ودونكها كالروض قد نشر الحيا بأرجائه من دمع ديمته درا  
 ففتق من صون الكمام أزاهرا فأعبقت الأرجاء من طيها نشرا  
 ونادت طيور الشكر فوق غصونها «هنيئا أبا عبد الإله لك البشرى»

وقوله من قصيدة فى مدح الشريف مولاي المأمون أخ السلطان مخدومه :

عذر المتيم فى عيون العين وفتورهن على الغرام معين  
 كم من شهيد بين أرجاء الحمى بفتور ألحاظ وسحر جفون  
 ومسهد من نومهن ومنتش من سكرهن وهائم محزون  
 لم ألفت فى زمر الأحبة مسعدا فى حبهن سوى عيون عيون  
 وخشيت من قلبى التقلب فى الهوى لما اكتوى فطلبته بضمين  
 دينى عليهن الوصال وقد وفا شرطى فهلا تركن مطل ديون  
 يا عاذلى كن عاذرى فى حب من قد طال شوقى نحوها وحنينى  
 لو أبصرت عيناك أقمار البها من فوق كتبان سمت وغصون  
 ورأيت طعن خناصر بمحاجر من تحت ليل ذوائب وقرون  
 وشهدت برق مباسم كالدرفى أسلاكه والطلع فى العرجون  
 وشممت عرق مواسم بمباسم لشفاها كالأرى<sup>(١)</sup> والزرجون<sup>(٢)</sup>

(١) الأرى: العسل - والندى يسقط على الشجر .

(٢) الزرجون: قُضبان الكرم - والخمر .



|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| ولدت في شرع الهوى بالهون   | لعذرت من ملك الجمال قياده    |
| مدح الخليفة سيدى المأمون   | وعلمت أن لا شيء يفضله سوى    |
| وعلا بتسليم وحسن يقين      | علم تسربل في العلا حلل الرضا |
| لم يرض قبل صعودها بالدون   | وسما به الظن الجميل لرتبة    |
| فأبان عن سفسافه الموهون    | عرفت به همم سمت من زخرف      |
| فإن رهبة حكمه فى اللين     | وأتى الرعية حظها من رفقه     |
| عن نيل مظلمة وكشف ظنون     | عف الضمائر والجوارح فيهم     |
| وشمائل كالروض غب هتون      | خلق كأخلاق النسيم لطيفة      |
| بعطاء لا نزر ولا ممنون     | ومواهب تحكى السحائب عفوها    |
| مغن عن التوضيح والتلقين    | مغنائه مغنى للمبيت ولفظه     |
| متأهبا للخير غير ضنين      | لم تلقه إلا مشمر ذيله        |
| لعلا العساكر أو أمور الدين | أسنى الدخائر عنده ما يقتنى   |
| د مع السلاح المتقى المتقون | والذ شيء عنده عرض الجيا      |

وقوله يرثى العلامة سيدى حمدون بن الحاج لما توفى وذلك عشية يوم  
الاثنين سابع ربيع الثانى عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف:

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| وكل الورى للورد منها نواهل   | حياض المنايا للبرايا مناهل    |
| وكل قضاء الله لا شك واصل     | قضاء من الرحمن حتما على الورى |
| كما وردتها فى القديم الأوائل | فلا بد للأحياء من ورد حوضها   |
| ولابد من يوم تشد الرواحل     | وما هذه الدنيا سوى دار رحلة   |

فيا أيها المغرور والأمل البقا  
ولا تغترر منها بحسن زخارف  
فظاهرها للجاهلين محاسن  
وما نحن إلا كالجياد بمضمر  
رأيت المنايا تتقى كل سيد  
وتردى صميم المجد من فتكاتها  
(تحامى الرزايا كل خف ومنسم  
أما وجدت عنا الخطوب معرجا  
لقد هد ركن الصبر يوم نعوا لنا  
وقلت لا والله ما كنت داريا  
أحقا عباد الله حمدون قد قضى  
نعم قد قضى شيخ الجماعة والتقى  
لقد كورت شمس السيادة بعده  
وهذ سماء الجود والمجد واعتري  
وغاضت بحور العلم بعد طفوحها  
وسدت طريق السالكين إلى العلا  
رزيتـــــــــــــــه أذرت بكل رزية  
لئن كان شمسا قد هوى فوراءه

تزود من الدنيا فإنك راحل  
فكل سوى الله المهيم باطل  
وباطنها للعارفين رذائل  
وتسبق في الميدان منا الأفاضل  
لها كل يوم غارة وجحافل  
كأن لها ثارا عليه تقاتل  
وتلقى رداهن الذرا والكواهل<sup>(١)</sup>  
أما ردها عنا العلا والفواضل  
إمام العلا من فى الفضائل كامل  
من الوجد والأحزان ما أنا قائل  
لقد ثكلتنا عند ذاك الشواكل  
وغالته من دون الأنام الغوائل  
وبدر العلا والمجد والعلم آفل  
بفقدانه أرض القلوب الزلازل  
وعاد رياض النظم والنثر ذابل  
وعادت طريق المتقنين مجاهل  
وفقدانه خطب لعمري هائل  
هلال بآفاق السيادة كامل

---

(١) فى هامش المطبوع: «البيت الأول لأبى العلاء المعرى ضمنه المترجم وأجاد» ..

وذكر سرى بين البرية طيب  
وأوضاع علم يستضاء بنورها  
فصبرا أبا عبد الإله فإنما  
وإن مصاب المسلمين بفقده  
أحمدون من للمشكلات يبينها  
ومن لعلوم الدين يتقن درسها  
ومن للمعانى والبيان يبينه  
ومن لامتداح المصطفى بمدائح  
ومن لذوى المعروف إن عن حادث  
لقد كنت غوثا للأنام ومنهلاً  
وكنت دليل السائرين إلى العلا  
وكنت لهذا الدهر زينا وحلية  
وكنت لذى الحاجات خير وسيلة  
فأصبحت مقصى فى ديار جنيبة  
وأضحت ربوع العلم وهى كئيبة  
وأصبحت الطلاب بعدك فى ظما  
وعاثت جيوش الحزن فيهم وحكمت  
ونار الجوى بين الجوانح أججت  
فما عيشهم من بعد بعدك صالح

كما هب ريح عطرته الخمائل  
ونظم ونثر للمحاسن شامل  
بقدر جليل الخطب تعطى الجلائل  
مصاب عظيم هاج منه البلائل  
إذا قصرت عن فهمهن الأفاضل  
فتشرق نورا من ذكاه المسائل  
بعضب لسان للجهالة قاتل  
عليها من السحر الحلال دلائل  
فيلقاهم بشر لديك ونائل  
إذا ما عرثهم من زمان نوازل  
وبدرا بأفاق الهدى متكامل  
فها جیده من بعد بعدك عاطل  
إذا عدت فى العالمين الوسائل  
وقد عدت تلك العلا والفضائل  
خوال ونور العز بعدك حائل  
وقد كدرت للواردين المناهل  
على الرغم فى الأحشا الظبا والعوامل  
وسحب الدموع فى الخدود هوامل  
ولا فى الحياة بعد فقدك طائل

فلو كنت تفدى بالنفوس تسابقوا      ولم تغلهم فيك النفوس الجلائل  
 ولكن قضاء الله حم فما امرؤ      يرى دون ما قد قدر الله حائل  
 لقد صرت للبدرين قبلك ثالثا      به تم بين العالمين التماثل  
 كأن لم ترى شيها لفضلك فى الورى      فأصبحت بالشبه المماثل نازل  
 ثلاثة أقمار ثوين بروضه      عليها من النور البهى شمائل  
 جبال علوم راسيات لدى العلا      بحار لعمرى ما لهن سواحل  
 سقى ترب ذاك الروض شؤبوب رحمة      وسحت عليه الساريات الهواطل  
 وبوأ من قد حله الله جنة      لهم بعلا الفردوس منها منازل  
 بجاه إمام المرسلين وآله      وأصحابه أهل الرشاد الأفاضل  
 عليهم صلاة الله ما ذر شارق      وما سجت فوق الغصون البلابل  
 وستأتى بعض قصائده الرائقة فى ترجمة السلطان مولاي الحسن إن شاء الله .  
 وفاته: توفى بالوباء برباط الفتح صبيحة يوم الخميس رابع عشر جمادى  
 الثانية عام ستة وتسعين ومائتين وألف ولا زال عقبه بمكناس إلى الآن .

#### ١٠١- إدريس بن الحاج بوعزة الميسورى .

حاله: فقيه أستاذ مجود متقن ذو صوت حسن حلو التلاوة يحفظ القراءات  
 السبع حفظا جيدا، عارفا بمخارج الحروف، رشح لتعليم بعض أفراد أبناء العائلة  
 السلطانية بالدار المولوية المحنشة من الحضرة المكناسية، ثم رحل لفاس بصفة كونه  
 مؤدبا لصنو مولانا المنصور بالله البركة الفاضل الذاكر المجتهد مولاي محمد فتحا  
 نجل السلطان المقدس المولى الحسن وذلك بعد العشرين من هذا القرن، ومكث به  
 مدة ثم رجع لمسقط رأسه مكناسة ولم يزل بها إلى أن لقي ربه .

١٠١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع - ص ٢٨٦٥ فى موسوعة أعلام المغرب .

مشيخته: أخذ عن شيخ جماعة المقرئين السيد العربى بن شمسى، والسيد فضول السوسى، وشيخنا أبى عبد الله محمد القصرى، وغيرهم.

وفاته: توفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن بمقبرة سيدى الحريشى من هذه الحضرة المكناسية.

١٠٢- إدريس الأمرانى بن عبد السلام بن محمد فتحا بن عبد الله بن الظاهر بن محمد بن عبد الواحد بن العربى بن محرز بن على بن يوسف بن على الشريف بن الحسن الصغير بن محمد بن الحسن القادم من ينيع النخيل إلى تافيلالت رحم الله الجميع بفضله وكرمه.

وأمه الدرة المصونة السيدة نفيسة بنت السلطان الأفخم مولانا عبد الرحمن بن هشام.

حاله: فقيه أديب نبه لا تكاد تتمشى عليه الخيل فى أخذ ما بيده، راوية محاضر، أريحى مهذب عالى الهمة، فخور وقور، يحب الفخر والتفرد بالمعالى ونفائس الأمور، آية فى الإنشاء والترسيل، نشأ نشأة حسنة بين أبويه فتأدب وتهذب، وقرأ القرآن المجيد وجوده بحضرة مكناس وحفظ أمهات الفنون وأشعار العرب ووقائعها، وأكب على تلقى العلوم بجد واجتهاد حتى نبغ وبرع وفاق أقرانه، ثم بعد أن فتحت له النجابة بابها رحل لفاس ولازم مجالس دروس عظماء أعلامها مدة وشارك فى فنون، ثم رجع لبلاده مملوء الوطاب واشتغل بالفلاحة وصرف كل وجهته إليها ولكنه لم ينس نصيبه من المطالعة.

أصله من شرفاء زاوية الأمرانى بسجلماصة، تلك الزاوية المباركة الشهيرة ذات الحرمة العظيمة، خرج جد المترجم السابع وهو المولى عبد الواحد من

سجلماسة مع السلطان المولى الرشيد، زمن فراره من أخيه المولى محمد، فنزل بالزاوية الدلائية بعد ما استقل مولاي الرشيد بالملك، وأخذ العلم بها عن أهله ثم نزل بأفران من بلادزيان واستوطنها، وبها توفي، وضريحه هنالك مشهور.

وقد كان لبنيه من بعده جاه ووجاهة عند بنى عمهم الملوك العلويين، ولا زال عقبهم محل تجلة وإكرام إلى وقتنا هذا.

صاهر المترجم السلطان المولى عبد الحفيظ بأخته السيدة حفصة، ورشحه لإخماد نيران فتن البربر التي ثارت عليه، وشقت عصا الطاعة، وتمردت وعاثت فى السبل، وخيمت بحللها برأس الماء قرب فاس، وقطعت المواصلات بين فاس ومكناس بل سائر الجهات، ومدت يد النهب والسلب فى المارة وبالأخص بسايس.

وقد كانت فاتحة أعمالهم بنهب شيخنا العلامة السيد الحاج المختار بن عبد الله ابن عم الوزير أحمد بن موسى السابق الترجمة وخلفه فى الوزارة، وستأتى ترجمته بحول الله.

وكان ترشيح السلطان المذكور لصاحب الترجمة لهذه المهمة بإشارة من بعض من له فى المترجم شهوة وغرض، وأفقرغ ذلك للسلطان فى قالب أن القبائل البربرية خدمة للشرفاء الأمرانيين لا يرفعون أمامهم رأسا ولا يردون عليهم كلاما ولا يعصون لهم أمرا، وأن للمترجم ووالده وجده وسلفه من الحرمة والمكانة ما يقضى عليهم بالانقياد والرضوخ للطاعة.

ولما استقر ذلك فى ذهن السلطان أمر وزيره الصدر الأعظم حينه السيد المدنى بن محمد الأجلوى بأن يأمر صاحب الترجمة بالتوجه لهذه المهمة، فوجه عليه وبلغه الأمر المولوى فتعلل واعتذر ولم يأل جهدا فى التنصل، وذلك بعد أن كان السلطان وجه لهم القائد عبد المالك المتوكى أحد أعيان دولته، وكبار عمال



مولای إدريس الأمرانی

والده، وصنوه السلطان مولاي عبد العزيز من قبله، وذلك بصفة كونه بربريا وله مع بعض زعمائهم يدٌ، وسابقة معروفة، واجتمع بذوى رأيهم قرب دار دبيغ، وراجت بينه وبينهم المخابرة فى الرجوع عن البغى والتمرد والرجوع لطاعة السلطان، وتحمل لهم بكل ما يرومونه من السلطان، ولم تحصل من تلك المخابرة أدنى نتيجة سوى تحصيل الفئة الباغية على تسريح أسارهم الذين كانوا بسجون فاس.

ولما سرحوا تبادوا، وحاولوا تشتيت محلة السلطان التى كانت مخيمة بمصلى باب الساكمة، أحد أبواب فاس الشهيرة، وعين قادوس، والاستيلاء على ذخائرها وعدتها وعددها واقتحام فاس، وصمموا على ذلك فكانوا كل يوم يهجمون على تلك المحال ذات العدة والعدد، ويشدد القتال بين الفريقين وتبقى الجثث مبعثرة طعمة للكلاب والغربان.

ولما لم تقبل من المترجم معذرة ورأى أن لا مناص أخذ على الوزير المذكور العهد والميثاق على أن لا تخفر له ولا لهم ذمة إن هم أجابوه للرجوع للطاعة، وتكفل له بذلك قنصل الدولة الفرنسية إذ ذاك بفاس المسيو كيار.

فعند ذلك وجه بعض أصحابه لمن له بهم معرفة من أعيان البرابر يستأذنهم فى الخروج إليهم فأجابوه لذلك، فخرج إليهم لرأس الماء وفى معيته أخوه العدل الرضى مولاي سعيد، فتلقوه بالترحيب والإجلال، وأظهروا له من الخضوع والانقياد ما لم يخطر له ببال، وأمسكوا فى ذلك اليوم عن الهجوم على المحلة احتراماً له وتعظيماً، وظل يومه يعظ ويذكر ويحذر وينذر ويعد ويمنى زعماء أولئك الأوباش الأنجاس كى يردهم عن طغيانهم.

فتصدى للكلام معه من رؤساء فتنتهم القائد حم الحسين المطيرى البورزونى والقائد عق المطيرى البويدمانى والقائد محمد بوزومة الأغواطى، والقائد محمد



بو كرين المطيرى وغيرهم من أركان البغى والعتو، وبعد أخذ ورد تحملوا له بتشتيت تلك الجموع وتفريق كلمتها بكيفية لطيفة معينة على نقض ما أبرموه وتحالفوا عليه، وجعلوا معه على ذلك جعلاً يؤديه لهم نقداً معجلاً يفرقونه على رءوس تلك القبائل وذوى الرأى منهم، فالتزم لهم بذلك، وأخذ منهم عمامة وأخذوا منهم برنوساً على العادة البربرية فى التحالف على عدم التخالف.

وطير الإعلام للسلطان بالنتيجة فأجابه بواسطة وزيره المذكور بالمساعدة التامة على إمضاء ما أبرمه .

وكانت مدة مقامه بين ظهرائهم يومين بلياليهما فما راعه إلا ورقاص متأبط لكتاب لعق وبوزمة المذكورين من بعض رؤساء المحلة من خاصة حاشية السلطان يأمرهما برفض مطالب المترجم رفضاً كلياً، وأن يعيراه أذناً صماء ويردانه خاسئاً، وحذرهما من صدور هذه المزية على يده، فقلبوا عليه ظهر المجن، وأظهروا له من النفور والخفاء ما صيره فى حيص بيص، يتوقع الإيقاع به واحتجوا عليه، ثم بعد محاججة ومراجعة، منهم من رجع إلى الانقياد ومنهم من تمادى على النفور والشرود، ومنهم من أظهر الطاعة وأصر على المخالفة والشقاق كالمكتوب لهما بالتحذير من إسعاف المترجم.

وكان آخر اتفاق وقع بينهم وبين صاحب الترجمة أنهم وقت ما أمكنهم تفريق كلمة تلك الجموع يطرون الإعلام إليه ليأتيهم بالdraهم المتفق عليها، وبظهير سلطانى بالعفو عما جنوه والقبض على صاحب الكتاب الساعى فى دوام توقد نيران الفتنة وتوليته خليفة عليهم واسطة بينهم وبين السلطان.

وبعد تحمله لهم بما ذكر رجع لفاس وتلاقى مع الجلالة السلطانية وقرر له جميع ما راج من المبدأ إلى المنتهى، فأجابه بجميع ما اشترطوا إلا القبض على صاحب الكتاب، وأمر الوزير الصدر بكتب الظهير بما ذكر وتنضيد ثمانية آلاف

ريال - أربعين ألف فرنك - ، وتمكين صاحب الترجمة من الجميع وإلزامه الرجوع إليهم من حينه وعدم سماع كل عذر يديه في التخلف ، فلم يسعه إلا الامتثال مع تحقيقه سوء المنقلب فوجه رسولا إليهم يخبرهم برجوعه لطرفهم .

ولما وصل إليهم الرسول وقص على الأصدقاء منهم القصص ، أخفوه عن أعين رؤساء العتو المظهرين خلاف ما يظنون ، ورجعوه إلى مرسله المترجم ، وحذروه من الخروج ولا سيما قبل القبض على من اشترط القبض عليه ، وعرفوه بأنه إن خرج إليهم قبل إذنهم له ووقع في محذور فإنهم لا يغنون عنه شيئا ، وربما كانوا عليه ، هذا والأوامر المخزنية تتجدد وتتوارد على صاحب الترجمة بالإزعاج للخروج ، حتى أتاه كاتب الصدارة الأول أبو العباس أحمد الزمورى بأمر بات ، فلم يسعه إلا الامتثال فخرج في التاسعة صباحا وحمل ما يحتاج إليه من أخبية ومثونة ، إذ كان في عزمه التخيم بين أظهرهم حتى تنحسم مادة البغى والعتو .

ولما وصل لنزالة فرجى الشهيرة خارج باب فاس وفي معيته أخوه المولى سعيد المذكور آنفا ، وكاتبه الفقيه العدل السيد محمد بنونة ناظر الصغرى الآن بمكناس ، وجدوا الوطيس أمامهم قد حمى ومدافع المحلة تصب قنابلها صبا ، فتقدم المترجم إليهم وأشار للفريقين بالإمساك عن القتال فأمسكوا ، ثم تقدم للفئة الباغية فحياه حملة راياتها وأظهروا له من الخضوع والانقياد ما سرَّ به وتيقن نجاح مقصده .

ولما لحقت به أوعيته وأثقاله بالنزالة المذكورة وجهها مع أخيه المذكور في خفارة بعض بنى مطير ، ورجع هو بقصد الملاقاة مع السلطان والمفاوضة معه ، فتعرضت له شرذمة من خيل الفساد وهجموا عليه وأنزلوه عن فرسه بغاية العنف والقساوة ، بعد أن قطعوا حزام سرجه وجرحوه هو بمديفة في رجله وجردوه من ثيابه بكيفية شنيعة كاد أن يموت بها خنقاً ، ولم يتركوا عليه غير قفاز وسراويل ،

ولولا أن رجلا من قبيلة مجاط رق لحاله وأركبه فرسا وألبسه برنسا على وجه العرية لهلك، ولم يأل جهدا فى المدافعة عنه.

ثم قصد المترجم حَبَاءَ كَبِيرِ المحلة المخزنية، وهو إذ ذاك الطالب أحمد بن مبارك الشاوى الحاجب فى ذلك الحين فلم يجده، وإنما وجد الطالب إدريس بن منو السوسى نزيل سطات فى الحين الحالى، ورد الفرس والبرنس لصاحبه شاكرًا فضله وجزيل إحسانه.

وبعد أن استراح واطمأنت نفسه دخل فاسا على حالة يرثى لها، وقص على السلطان القصص، وذهب لداره يتقلب فى أليم الألم، وما قاساه من التنكيل والهوان، ولم يزل يقاسى من ذلك شدة بضعة أيام، والوزير فى كل يوم يوجه له عن الأمر السلطانى مرات بترجيع الدراهم التى كان أخذ بقصد إنفاقها فى سبيل الإصلاح طبق ما أوضحناه رغماً عن نهبها له فى جملة ما نهب من حوائجه وبهائمه.

وأما أخوه المولى السعيد والكاتب والأثقوال، فإن البرابر التفت بهم وقصت بهم رأس الماء، وبينما هم فى أثناء الطريق إذ وجدوا الرسول الذى قدمه المترجم للمتمردين أمامه، فأشار إليهم بخسر المسعى ووخيم العقبى، فلم يجدوا مناصا لحصولهم فى شبكة إخوان الشياطين المتمردين المحققين بهم، فصاروا يضربون الأخماس فى الأسداس، ولات حين مناص، وزمر البرابر تلتحق بهم رجالا وركبانا إلى أن أشرفوا على رأس الماء محل تعشيش فسادهم، فوجدوا البقية الباقية فى انتظارهم حول الخيام فالتحقوا بإخوانهم المفسدين، ومدوا يد النهب والسلب والضرب، ولما استولوا على جميع ما كان معهم من مال وتمول تركوهم حفاة عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم، غير المولى سعيد فإنهم أبقوا عليه بعض ما يستر عورته، وتفرقوا فى رأس الماء شذر مذر، بين خيام البغاة المعتدين، بعد أن

سمسروا سلبهم أمامهم وهموا بإحراقهم وجمعوا الحطب لذلك فعلا، ولكن الله سلم، وباتوا شرميت لم يلتق واحد منهم بصاحبه ولم يدر ما فعل به .

ومن الغد اجتمعوا ودخلوا فاسا فى حالة تعساء، يقف لسان القلم عن وصفها والتعبير عن شرحها، ولما حل المترجم بفاس ومثل مولاي سعيد بين يدى السلطان، رق لحاله وأعطاه كسوة من ملبوسه .

وأما العتاة فقد ازداد عيْثهم وتكلبهم على النهب والقتل، وتماذوا على الهجوم على المحال المخزنية فى كل بكرة وعشى، وأجلبت بخيلها ورجلها وضيق بالعااصمة الفاسية، وقطعت عنها السبل وحاصرتها ونازلتها بين أسوارها، حتى فنيت صناديد رجال المخزن، وعدمت أمواله، وأصبحت المدينة وأهلها فى خطر عظيم، وصار الكور والرصاص ينزل أمام السلطان بقعو داره، وأحزاب العتو والفساد فى هيجان حتى صارت تشتت على السلطان الشروط وتهده وتأمرة بالرجوع للجادة فى زعمهم وإبعاد بطانة السوء عنه، وحصروها فى أفراد من حاشية بساطه وعظماء دولته، سموهم له وإعطائه كفيلا لهم يرضونه يلتزم بالوفاء بجميع ما شرطوه .

فعند ذلك اضطر السلطان إلى الإرسال لدولة فرنسا يستنجد بها، فلبت طلبته ووصلت جنودها لفاس، ومزقت جموح أحزاب الفئة الباغية كل ممزق وانتشرت أعلام السلم .

ثم بعد ذلك قام العسكر المنظم ضد البعثة العسكرية المكلفة بتنظيم الجندية المغربية، وامتنع من قبول النظام والقوانين حتى وقعت مذبحه إبريل المشؤمة على البلاد والعباد فلقد هم الجنرال موانى قائد الجيش الفرنسى بإطلاق أفواه المدافع على فاس، وتقويض أركانه، ولولا وجود سفير الدولة الفرنسية المعروف بالرزانة والثبات والعقل والسياسة رينو، ووقوفه أمام تيار غضب الجنرال المذكور وإقناعه

بالحجة بأن أهل فاس برآء مضروب على أيديهم لا دخل لهم فى الواقعة لهدت صوامع ومساجد.

ومع هذا فقد كانت النتيجة إعلان الأحكام العرفية بالبلاد، وانتزعت الأسلحة من الأهالى وقبض على كل من وقع الاشتباه فيه بمداخلة فى القضية، وقتل كثير منهم صبراً وخلد بعضهم فى السجون، ولا زال البعض إلى الحين الحالى.

وقد تقدمت له خدمات مخزنية، منها الترشيح لعمالة الدار البيضاء بعد وفاة عمه الذى كان خليفة بها سيدى محمد، وذلك عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، ثم أعفى بطلب منه، ودونك نص ظهير إعفائه بعد الحملة والصلاة والطابع السلطانى الفخيم:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأطلع فى سماء المعالى شمس المنيرة وبدره، أنه لما كان ابن عمنا ونخبة أصهار أسلافنا الكرام، مولاي إدريس بن المرحوم مولانا عبد السلام الأمرانى مطوقا ولاية عمالة الدار البيضاء بكمال واستحقاق، وقام بالواجب فى تلك الولاية قياما يشهد له بحسن السيرة على الإطلاق، وتمشى فيما أنيط به من أمورها على النهج القويم، والصراط المستقيم، ثم حدث له الآن من شئون عائلته وعائلة والده وعميه المتفرقات بفاس ومكناس، مع عدم من يعتمد فيها عليه، ما خشى معه صدور إخلال منه بالقيام بوظيفه المذكور، ومن أجل ذلك طلب من جانبنا الشريف كفاية مشقة تلك العائلات أو إعفائه من ذلك الوظيف، فاخترنا له الوجه الثانى وهو الإعفاء من الوظيف المذكور نظراً لمصلحة العائلات التى هى فى نفس الأمر عائلتنا، ليتفرغ لمقابلة ضرورياتهم كالتائب فى ذلك عن شريف جانبنا، وقد أعفينا من الولاية المذكورة ملاحظة لما ذكر، راضين عنه رضاء يتكفل له بزيادة الحرمة والوقار، والتميز والاعتبار، وينيله

فى سائر المحافل الرسمية والهيآت المخزنية كمال العز والافتخار، فهو عند جنابنا العالى بالله اليوم كما كان بالأمس سواء بسواء، إذ على قدر العمل يكون الجزاء، ونأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة شريف أمرنا أن يعلمه ويعمل بما فيه ولا ينافيه، والسلام، فى ثالث عشر محرم الحرام عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

قد سجل هذا الظهير بالوزارة الكبرى بتاريخ يوم كتبه صح به محمد الجباص وفقه الله» ومحمد الجباص هو الصدر الأعظم إذ ذاك.

مشيخته: أخذ عن عمه المولى الكامل، وعن المفضلين ابن عزوز، والسوسى، والتهامى بن عبد القادر المدعو الحداد، وقاضى مكناسة أبى العباس بن سودة وشيخنا أبى عبد الله محمد القصرى، وأبى مروان عبد المالك الضرير، وأبى عبد الله محمد بن التهامى الوزانى، وشيخنا أبى عبد الله محمد القادرى، وأبى العباس أحمد بن الخياط الزكارى وغيرهم.

ولادته: ولد أواخر ربيع الأول عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف على ما كتب لى بخطه.

وفاته: توفى رحمه الله فى الساعة الحادية عشرة وثلث قبل زوال يوم الخميس رابع عشرى حجة الحرام عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف ودفن من يومه بالضريح الإسماعيلى أمام المحراب بالمباح الشرقى من الصحن الكبير لصق الجدار الشرقى منه رحمه الله ويرد ثراه.

١٠٣- الأمين: العطار دفين جبل زرهون.

حاله: ولى كامل صالح فالح واصل، ظهرت له كرامات وخوارق عادات، وله مكاشفات صحيحة، وهو من الرجال الذين عدهم الشيخ زروق فيمن لقى.

مشيخته: يتتسب لسيدي عبد القادر الجيلانى، وأبى يعزى صاحب تاغيا، يقال إنه رآهما فى المنام فأمداه، وكان عقد مع الله أن كل نافلة يعملها فثوابها لهما، فرآهما بعد ذلك وهو عند قبر أبى يعزى فأعطياه.

الآخذون عنه: منهم العارف العالم العامل السيد أحمد بن عيسى البرنوصى الفاسى المعروف بزروق المتوفى ليلة الأحد ثامن عشرى صفر عام تسعة وتسعين بتقديم التاء فيهما وثمانمائة وناهيك به.

وفاته: توفى سنة ستين وثمانمائة.

١٠٤- إسماعيل: أبو النصر بن الشريف بن على الينبوعى السجلماسى الحسنى السلطان.

الذائع الصيت فى المشارق والمغارب، فخر ملوك المغرب الأقصى.

حاله: رجل السيف والثبات، له فى اجتثاث ما يسخط الله تعالى وثباتٌ، وطنى غيور، حر الضمير، صلب فى دينه، متمسك بحبله المتين، يعاقب العقوبة الصارمة، كل من ظهرت منه مخالفة فى الشعائر الإسلامية، أو مروق من الدين.

قال مؤرخ فرنسا (سان الون) سفير لوزير الرابع عشر ملك فرنسا للمترجم فى رسالة وجهها للملك المذكور يصف له أخلاق صاحب الترجمة:

«أما أخص أوصافه فهو الاعتقاد الراسخ فى الدين، لا تأخذه فى الدين لومة لائم، مستحضر لآى القرآن فى كثير من أحواله، ومضحيا نفسه فى سبيل نشر الدين وعلو كلمته، وبالجمله فإنه لم يظهر ملك ذو قوة وثبات على أصول الدين مثل مولاي إسماعيل منذ قرون، مطلع على العلوم الدينية، متفقه مستحضر لمسائلها الأصلية، يتمذهب بمذهب مالك، يصوم زيادة على رمضان شهرين فى

---

١٠٤ - من مصادر ترجمته: نشر المثنائى فى موسوعة أعلام المغرب ٥ / ١٩٩٦ ..



فخر الملوك وأعظم السلاطين  
مولانا إسماعيل بن الشريف بن علي الحسنى  
دفين مكناسة الزيتون - رحمه الله



العام، وما شرب قط مسكراً في عمره، ويعتمد على الله في سائر أحواله، وإذا دخل في صلاة توجه بكليته إلى ربه، ويتجرد من نخوة الملك وحلته، ويطلب من الصلحاء والحجاج والعلماء الإكثار من الدعاء له بظهر الغيب.

وقد أقام سنة صلاة الاستسقاء في سنة الجذب التي كانت سنة ١٦٨٠ فخرج بنفسه في اليوم السابع عشر من مارس حاسر الرأس حافي القدمين في بذلة خلقة مصحوبا بسائر حاشية ملكه، والجم الغفير من رعيته.

ويعد إقامة الصلاة بذلك الجمع زار سائر مساجد المدينة واستغرق ذلك يوماً كاملاً، ولما رجع إلى قصره أصدر أمره لسائر المسيحيين الذين بإيالته بتنكيس سائر الأصنام التي بكنائسهم ومحال عبادتهم، ويعظم أبواب الزوايا وأهل الصلاح المشهورين بالاستقامة، ويدعو المسيحيين للدخول في دين الإسلام.

صدرت منه مكاتب بذلك لجل دول أوروبا، أشهرها كتابه للويس ١٤ يذكره بكتاب النبي إلى هرقل عظيم الروم، ويدعوه إلى الإسلام، ويدعو الرهبان الموجودين بإيالته لحضرته، ويأمرهم في الدين ويأمرهم بإحضار ما لديهم من الكتب والحجج والدلائل على معتقداتهم، ويتناول ذلك بالنقد والبحث، معتمداً على التأليف الإسلامية التي كان يحضرها في المجلس.

وله اهتمام كبير ببناء مكناس - عاصمة ملكه - وتعميرها وزخرفتها وتزيينها، كأنه يريد أن يحدث لأمته آية من آيات ملكه تكون عجباً لقومه، وآية لمن يأتي من بعده».

قال: «وكان من مزيد اهتمامه تجاوز حد المهندسين الفنانين في أعماله، يهتم في هذا الأمر بجليله وحقيقه، فيصدر الأوامر للبنائين بنفسه، ويراقب أعمال العملة بشخصه، ولا يترفع عن تناول المسحاة - الفاس - أو أى آلة من آلات البناء

بيده، ويختبر الجير والتراب وغيره خشية أن يكون فيه غش، كما يختبر أيضا استقامة الجدران حتى لا يكون فيها ميل أو عيب من العيوب، ويهتم أيضا بنقل الأشجار وغيرها من الأمور اللطيفة حتى لا يقع فيها كسر، وبالجمله فإنه لا يفوته شيء ولو كان لا أهمية له.

وقال: «إن سائر ما فى مكناس من العظمة والضخامة راجع فضله للمولى إسماعيل، وكان يحبها حبه لإحدى بناته، وكان يفاضل بينها وبين فاس، ويفضلها عليها، والظروف السياسية والاقتصادية تطابق فكره فى انتخابه لها عاصمة». انتهى.

الغرض من الرسالة.

وقال فى حقه صاحب الكتاب الموسوم بأهم مراحل تاريخ المغرب المطبوع بباريز سنة ١٩٢١ صحيفة ٦٧:

«إن مولاى إسماعيل قام بأمر عظيم يمكن أن يشبه بأعظم ملوك تاريخ فرنسا».

وقال فى حقه مؤرخ فرنسا الشهير الكنت دو كاسترى فى الصحائف ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ من كتابه المعنون بـ «مولاى إسماعيل وباك الثانى»: بعد أن سرد ما وصفه به بعض مؤرخى أوروبا وبالأخص رؤساء الدين منهم من الشدة والقساوة ما ترجمته:

«إننا نجد أشياء خالية عن كل حجة تتناولها الأفكار بأوروبا مما كان يقاسيه الأسارى من النصارى عند مولاى إسماعيل من الشدة، مع أنه لم يكن يعاملهم بأكثر مما يعامل به غيرهم من الجناة، وإننا لم نجد ما يعتمد فيما نسبوه إليه إلا ما نقله الأوروبيون فى تواريخهم وخصوصا رجال الدين منهم، وذلك بعيد جدا عن الصحة، فإنهم كتبوا ذلك بدون ترو، إنما قصدهم إغراء القراء وإيغار صدورهم

وتهيج الأفكار لمقاومة هذا الملك لأن مؤرخى العرب لم يتعرض واحد منهم لشرح هذه القساوة».

ثم قال: «فممن وصف مولاي إسماعيل بالإفراط فى القساوة (بوسنو) و(الأب فرانسيسكو) فتلقى منهم ذلك المسيو (بلانطى) و (كاستيلانوس) بدون ترو».

وممن رفض ذلك واعتبره من باب الخرافات المسيو (الامارتينلان) وأقربهم إلى الحقيقة المسيو (بودجيت ميكين) حيث قال: إن قساوة مولاي إسماعيل هى نتيجة أحوال زمانه الذى يعيش فيه، ولئن فاق الملوك قساوة فلقد فاقهم قوة، وبسبب جهل المؤلفين للزمان والمكان فإنهم أغفلوا التحفظ عند تتبعهم الأعمال الدموية التى قام بها مولاي إسماعيل، ومن أجل ذلك حكموا عليه بصرامة خالية عن كل إنصاف.

ثم بعد أن وصف مولاي إسماعيل بالقوة الكاملة فى الباءة التى أوجبت له تعدد الأزواج المباح له فى شريعته السمحة وما علقه الأوروبيون على ذلك، قال: فإننا نرى مولاي إسماعيل يطوف فى ممالكه وتمر عليه الأربعة والعشرون سنة وهو على رأس جيوشه يحارب ويقطع الرؤوس ويأخذ الجبايات ويستقبل سفراء دول النصرارى ويناظر (الآباء دولا مرسى) مناظرة علامة موحد، ويخطب فى المساجد، ويدير أمور مملكته، ويقابل بنفسه بناء قصوره العظيمة، وينظم حرسه الأسود الشهيرة، ويكتب لجاك الثانى، ويحاجج فى دين المسيح.

وحياة مملوءة بأعمال كهذه لا تترك وقتا للشهوات، وذلك قاض بالاعتراف بأنه لم يكن منهمكا فيها».

ومن أكبر البراهين وأوضح الأدلة على ما كان بينه وبين عظماء ملوك أوروبا

من العلاقات السياسية ما وقفت عليه فى عدة مكاتب ومخابرات صدرت بينه وبينهم، ألم بكثير منها مؤرخ فرنسا الماهر الشهير الرحالة الفيلسوف الخبير الكنت دو كاسترى فى عدة من كتبه، وإليك نصوص بعضها وصورها الفوتوغرافية، وقد خاطب فيها لويس الرابع عشر ملك فرنسا وجامس ملك الإنجليز ودرنكرلوس ملك إصبانيا.

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله تعالى الإمام المظفر بالله أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين الشريف الحسنى، أيدى الله ونصره، ثم الطابع بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى، والله وليه وبدائرتة العز والإقبال.

«إلى عظيم الروم بفرانصيص لويس الرابع عشر من هذا الاسم، السلام على من اتبع الهدى، وباعد طريق الغى والردى.

أما بعد: فاعلم أن الذى ظهر لنا أنك ليس عندك قول صحيح، ولا كلام رجيح، ولا أظنك إلا غلب عليك أهل ديوانك، وصاروا يلعبون بك كيف شاءوا ولا بقى لك معهم ضرب ولا لقب، ودليل ذلك أننا ما زلنا ما قبضنا منك صحة قول ولا أبرمت معنا شيئاً، ففلا منك الذين ليس لهم رئيس وما عندهم إلا الديوان تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم، وثبتوا فيها ووفوا بها، والإنجليز تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم ووفوا بها، فحين ذهب خديمتنا لبلادهم لما أن طلبوا منا ذلك فرحوا به وأكرموا وبروا به، وأتى من عندهم بعشر مائة مكحلة، وستة عشر مائة قطارا من البارود ومائة وسبعة من المسلمين، أطلقوهم من الأسر لوجوهنا، وعملوا من الخير ما عملوا مراعاة لنا، وثبتوا فى قولهم ووفوا بكلامهم، وأنت لازال لم يصح منك قول ولا وفاء وأولئك الذين كانوا قدموا إليك من هذه البلاد، ليس هم من خدامنا ولا من أصحابنا ولا ممن له معرفة



ظهیر مولای اسماعیل للویز الرابع عشر ملك فرنسا

معنا، فالحاج على معنين حيث أسر له ولده لاذ بالبعض من خدامنا واستحرم به،  
وقدم إليكم على شأن أولئك المسلمين، وجاز على دار السباع ودار النعام، وأتى  
إليكم بما أتى ولا شعرنا به ولا عرفناه كم أخذ، وقلنا: إنه إن وصلكم ولا بد  
تعملون له غرضه في أولئك المسلمين، وتسرحونهم، فإذا به هو تحيل على ولده  
إلى أن جاء به وأنتم ما عملتم صواباً في غيره، ولا صدر منكم ما تراعون لأجله.

ثم بعد ذلك قدم لعلى مقامنا صاحبكم انبشدر واتانا بشيء من الخرق مع  
فالسوا الحرير وهل نحن ممن يعجبه ذلك ويسره؟ فنحن معشر العرب لا نعرف  
إلا الصحيح، ولا يسرنا إلا ما فيه مصلحة المسلمين كلهم، ومع ذلك أعطينا  
لصاحبك عشرين نصرانيا سيفطنا بها، وظننا أنك ولا بد تراعى الخير وتبعث لنا  
ولو عشرين مسلماً تجبر بها خواطرننا، وتكون هى الطريق للكلام الذى تريده منا،  
فإذا بك ما عملت شيئاً من هذا، ولا جازيت بإحسان.

وثانيا قبضنا لك سفينة قبل أن يقع الكلام بيننا وبينك بثلاثة أيام أو أربعة  
على التحقيق، وهى موسوقة بالسكر وتبغة وثقفناها نحواً من ثلاث سنين  
بقصدك، ولا تركنا أحداً يمد يده فيها، وقلنا إنك تراعى خيرنا، وتعمل لأولئك  
المسلمين طريقاً وتسرحهم، وإن كانوا ليس فيهم من هو خديمنا ولا من هو  
محسوب من جيشنا، ولا من هو معرفتنا، فما هم إلا من لا خلاق لهم، ولا  
يركب البحر عندنا إلا أهل التمرين، ولو أطلقتهم وإن كانوا ليسوا بشيء فتكون  
عملت الخير بذلك، وتقول إنك عملت مسألة تراعى عليها، وأعظم من ذلك كله  
هو أن رئيساً من بلادنا اسمه التاج كان أعطاه صاحبك الذى أتانا خط يده على أنه  
يشترى سفينة من الجزائر يسافر بها قرصان وما عليه فيمن لقيه من فرانصيص،  
فلما أن اشتراها وسافر بها وغنم قطارمة موسوقة بالرخام والريال مع ما فيها من  
الحرير وغيره وبعثها مع أصحابه ستة وعشرين مسلماً، وتعرضوا لها سفنكم  
وأخذوها وثقفتها أنت أياماً، ثم بعد ذلك مزقتها والمسلمون الذين كانوا معها  
خدمتهم فى الغراب، فلماذا لم تردها وثقفتها ثلاث سنين كما ثقفنا نحن

سفيتكم؟ وهل هذه هي صحة القول؟ فهذا مما يدل على عدم صحة كلامك ومما يثبت الإخلال بقولك، وقلة وفائك.

فحتى الآن، فالذى ظهر لنا أنه ما يليق بنا معك إلا الشر، وإذا أردت تثبيت المهادنة وإبرام الكلام فيها وإمضاء حجتها، فابعث لنا من عندك قونصو بالتفويض على الأمر، ويجلس هنا فى إحدى مراسينا ويكون الأمانة معه فى هذا كله، ونبرم معه هذا الأمر ويكون من أهل الحل والربط عندكم، وإلا فإن ظهر لكم خلاف ذلك فأعلمنا، وعرفنا بما عليه عملك، وما أضمرته طويتك والسلام على من اتبع الهدى وفى التاسع من شعبان المبارك سنة خمس وتسعين وألف.

وذكر المؤرخ الكنت المذكور فى كتاب له طبع بباريز سنة ١٩٠٣: أن المترجم كتب لسلطان الإنجليز بما نصه: الحمد لله وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، لا رب غيره، ولا معبود سواه، ثم الطابع السلطاني بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى، وبداثرته إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، أيدى الله بعزیز نصره وأمدّه بمعاونته ويسره وخلد فى الصالحات شريف مناقبه، وجميل ذكره، آمين يارب العالمين:

«إلى طاغية الإنجليز القاطن ببلاد الفرانصيص يعقوب المسمى بلسانهم جامس، سلام على من اتبع الهدى، وتجنب سبيل الغى والردى، وآمن بالله ورسوله ثم اهتدى.

أما بعد: فإننا كتبناه إليك وأوردناه عليك وأوصلناك بهذا الكتاب. واعتنينا لك بهذا الخطاب لمسألتين اثنتين إحداهما دينية والأخرى سياسية دنيوية، وموجب إيرادهما عليك التنبيه لك والإيقاظ والنصح والإرشاد، وذلك أن أخاك الذى كان مملكا على الإنجليز من قبلك كان عرف لنا من الحق ما عرف، وتقرر عنده من لدنا ما لهذا الدين الشريف على غيره من الشفوف والشرف، فكان من أجل ذلك يطلب منها المهادنة على طنجة، فبعث لمقامنا العلى بالله من أصحابه وخدامه المرة



ظهیر مولای اسماعیل لجیمس الخامس ملك الإنجلیز



الأولى والثانية من بعث إنافة بمحلنا وتنويها بشريف مكاننا وكانت المواصله بين الملوك والمراسله مستتة ومشروعة وإن اختلف اللسان وتباينت الأديان .

فجازيناه على فعله . وكافيناه على شغله . ووجهنا له من خدامنا أنباشا دورا وصل إليه . وقدم عليه . كما شاهدته ورأيتة ففرح بسفيرنا وأكرمه إكراما كثيرا ، وسر به وبمقدمه سرورا كبيرا . ورجع من عنده مغبوطا مسرورا .

فلم نزل نراعى لهم ذلك ، ووفينا له فى جميع ما كنا عملنا معه فى طنجة ولم نرد البال إلى شىء مما كان يعمل به حين أراد الرحيل عنها ، وكان ينقل خزائنها ومدافعها وسكانها ، وأهل جوارها من المسلمين يرون ذلك وينهونه إلينا ويقصون ما يشاهدونه علينا وما ألقينا إليه فى ذلك البال . ولا التفتنا إليه بحال من الأحوال . وما ذلك إلا مكافاة له على صنيعه مع سفيرنا ، ووفاء بالقول الذى كان طلبه منا ، ووددنا أن لو كان أخوك بقى حيا إلى أن يشاهد صنع الله الذى صنعه لنا فى فتح العرايش من يد لصبنيول ، ويرى محاصرة سبتة اليوم وما كان أهلها يصرفونه عليها من الأموال ، وما كان يلزمهم فى مؤنتها من ملايين الريال ، لتحقيق وفاؤنا له ، وغضضنا الطرف عنه وعلم أن القول والعهد الذى أعطيناه لم نقص شيئا منه ، فالصواب الذى كان من أخيك والحق الذى كان يعرفه لنا هو سبب الكتب إليك مكافاة على صنيعه ، وهو الذى أوجب مكاتبتك بهذه المراسلة لنعرض عليك فيها الأمرين المذكورين أول الكتاب ، فأما الدينية منهما ففيها خير الدنيا والآخرة لما فيها من رشادك ونصحك إن وفقك الله تعالى .

وذلك أن تعلم أن الله سبحانه جل جلاله ، وتقدمت صفاته وأسمائه ، إنما خلق هذا الخلق ليعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، قال الله سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٥٧ ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ ٥٨ ﴿ [سورة الذاريات] .

وهذه العبادة التي أوجب الله على خلقه لا بد لها من وسائط يبلغون عن الله لخلقهم ما أمرهم به، ومن رحمته بخلقهم ورأفته بهم أن جعل لهم وسائط بينهم وبينه من جنسهم، أرسلهم إليهم من أنفسهم واختارهم من أنفسهم، فبعث لهم رسلا يبلغونهم عن الله ما جاءوا به من عنده، فأمن بهم من أراد الله سعادته، وكفر بهم من كتب شقاوته.

وختمهم بخاتم أنبيائه سيدنا محمد ﷺ، وجعله خاتم النبيين وسيد المرسلين، وجعل دينه خير الأديان، وشريعته أفضل الشرائع، وملته خير الملل.

ولقد بشر به وبمبعثه عيسى، كما بشر ببعثي موسى بن عمران على نبينا وعليهما وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام، ونبينا عليه السلام وإن كان آخر الأنبياء بعثا فهو أولهم خلقا.

ومما يجب اعتقاده أن الأنبياء كلهم يجب الإيمان بهم فلا نفرق بين أحد منهم، وأن المسيح بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام هو أحد الرسل الذين جاءوا عن الله من غير ادعاء مما تدعون، ولا إطراء مما تطرون، قال الله تعالى في حق أمه الصديقة: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنْتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة التحريم]: وقال تعالى في حقه: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران]: وقال تعالى: ﴿... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةَ انْتَهَوْا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة النساء].

ومن المعتقد أن المسيح رفعه الله إليه، وأن اليهود لعنهم الله ما قتلوه وما

صلبوه ولكن شبه لهم، وأنه ينزل بين يدي الساعة فيجد المهدي من هذه الأمة من ولد فاطمة ابنة النبي ﷺ يقاتل الدجال، ويجده قد أقيمت عليه الصلاة فيقول له تقدم يا نبي الله أو يا روح الله، فيقول له عليه السلام عليك أقيمت فيصلي خلف رجل من أمة نبينا ﷺ ويحكم بشريعته، ويقتل الدجال فينكره النصارى، ويقتلهم ويقتل اليهود حتى يكلمه الحجر، ويقول يا بنى الله هذا يهودى ورائى فاقتله.

وقد أخبرنا بهذا كله نبينا ﷺ بقوله والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم المسيح بن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ولا يقبل إلا الإسلام.

وهو معدود فى أصحاب نبينا ﷺ وقد عرف هذا جماعة من أعلام النصارى وملوكهم الذين هدامهم الله ومن عليهم باتباعه كالنجاشى ملك الحبشة حتى عد من الصحابة وصلى عليه نبينا ﷺ يوم مات وهو بأرض الحبشة، وهو أحد من خاطبه النبي ﷺ ودعاه إلى الاسلام، كما خاطب قيصر ملك الروم جد هذا الملك الذى لجأت إليه وأنت مقيم لديه، ولقد كتب إليه يدعو إلى الإسلام، فلما قرأ كتابه ووعاه وكان عنده من العلم المكنون ما عنده، سأل من حضره من العرب عن صفاته وأحواله وسيرته وما يدعو إليه وما يأمر به وما ينهى عنه فقال إنه النبي المنتظر الذى بشر به عيسى، وسيملك موضع قدمى هاتين وشاور أرباب دولته وأهل ملته فى اتباعه فضجوا وحاصوا حيصة الحمر الوحشية فساعفهم وساعدتهم بخلا بملكه وحين بلغ خبره نبينا ﷺ قال: ضن اللئيم بملكه فلقد رسخت فى قلبه معرفة هذا الدين وفضله على سائر الأديان لكنه لم يسمح بملكه.

وبكل حال من الأحوال فهذا الدين الحنيفى هو الذى اختاره الله ديناً، وارتضى له نبيا أميناً، وجعله أفضل الأديان، قال الله سبحانه فى محكم القرآن: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ (١٩) . وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ

يَقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [سورة آل عمران]. فمن أمعن النظر واستعمل الفكر ووزن الأديان بميزان الحق والعقل عرف أن دين الإسلام هو الدين، وأن غيره كله لعب وعبث من لدن بعث الله نبينا الذي ختم به الأنبياء، وتقرر لديه أنها كلها باطلة وأهلها للنار.

وقد وقع اختبار الأديان وأيهما أفضل لبعض عقلاء النصارى، وقد نظر فيما عليه المسلمون وفيما عليه النصارى وفيما عليه اليهود فأراد أن يختبرهم من جهة المعقول، فأتى نصرانيا وقال له أى الأديان أفضل؟ دين النصارى أو دين اليهود أو دين المسلمين؟ فقال له النصراني دين النصارى أفضل، فقال له وأى الدينين أفضل دين اليهود أو دين المسلمين؟ فقال له النصراني: دين المسلمين.

فأتى اليهودى وقال له أى الأديان أفضل دين المسلمين أو دين النصارى أو دين اليهود؟ فقال له: دين اليهود، فقال له: وأيهما أحسن أدين النصارى أم دين المسلمين؟ فقال له: دين المسلمين.

فأتى المسلم وقال له: أى الأديان أفضل؟ فقال له دين المسلمين فقال له: وأى الدينين أفضل دين اليهود أو دين النصارى؟ فقال له: لا خير فيهما معا.

فالدين القويم هو دين المسلمين، فعرف هذا النصراني المذكور بعقله أن الدين هو دين الإسلام وأن ما سواه محض ضلال، وأن اليهود والنصارى ليسوا على شيء وقد وقع معنى هذا فى كتابنا قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ...﴾ (١١٣). [سورة البقرة].

وها نحن قد أملينا عليك نبذة من الآى القرآنية والأحاديث النبوية والدلائل المعقولة المطبقة على أفضلية هذا الدين القويم، وغيره كله إنما هو فى سواء

الرحيم، وأنت إن خمت مع رأسك وفكرت في نفسك واخترت الدار الآخرة على الدنيا ودخول الجنة على النار، فأنت عرفت سبيلهما، فاتبع هذا الدين الحنيفي وانطق بالشهادتين فإن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة ولو قالها مرة في عمره، ويدخلها بشفاعته النبي ﷺ فإن له في أهل الكبائر والجرائم والذين نفذ الوعيد فيهم شفاعاة عظمى خصه بها ربه في الموقف العظيم، والله إن أنت اعتقدت هذا الاعتقاد ووفقك الله إليه وعلمت ما عمله قيصر من اعتقاده بقلبه وتيقنه به في نفسه حتى تحمد ذلك حالا ومآلا إن شاء الله.

فهذه المسألة الدينية التي نصحنك بها والمسألة الدنيوية هي إذا أنت أحببت الإبقاء على دين الكفر فدين قومك الإنجليز أخف وأيسر عليك من عبادة الصليب، ومتابعة الذين يجعلون لله الولد وينزهون عنه رهبانهم، وأى شيء رأيت في تغريبك عن وطنك وبعذك عن بلدك وخروجك عن ملة أبيك وجدك وتدينك بدين غير دين قومك، وإن كان الجميع على ضلال فدينكم أنتم معشر اليركس أيسر من أولئك المتوغلين في الكفر، وحتى امرأتك الفرنسية التي كانت تحوزك على التعبد بدينها، هأنت الآن افترقت معها، فعلى ماذا أنت باق في جوار الفرنسي تارك ملتك وادع ملك أبيك وأخيك لغيرك بالفلامك يتملك على جنسك وأنت بالحياة، فوالله ما أحببنا لداركم ولا لمملكتكم يتولى رياستها الفلامك أو غيره، فالغ عنك ما تقدم بينك وبين قومك فإن الصواب معهم في الإنكار عليك بسبب الدين الذي اختلفت معهم فيه، واعتذر لهم وعادهم وراجعهم، والله لولا أنا أناس عرب لا معرفة لنا بالبحر، أو كان عندنا من يحسن معرفته، أو نستوثق به في الجيش ونطلقه في يده حتى نكاتب الإنجليز ونبعث لك من الجيش ما تدخل به عليهم وتتولى به ملكك.

ولكن مسألة واحدة نعرفك إياها فحاول حتى تتصل من بلاد الفرنسيين،

واقصد لجوبة بلاد البرتقال وها زوجة أخيك البرتقالية اليوم هنالك، ولقد كان لها عند أهل ديوانكم وجه وكلام ومن هنالك تقرب المسافة بينك وبين قومك، وتسهل عليك مناولة الكلام معهم، لكن بحيث لا يكون للفرنسيس بك شعور، وأما إذا عرفوا منك فلا يتركوك ولا يطلقونك لمسألتين: إحداهما لا يريدونك تترك دينهم وترجع إلى دين قومك، والثانية يخافون أنك إذا راجعت قومك ربما تعاديهم وتحاربهم لا سيما حيث عرفتهم وعرفت عزة بلادهم، والملوك دائما تحذر من مثل هذا، وقد نصحنك وأريناك ما يليق بك في دينك وديناك ووالله ما نكره لك الهداية والرشاد.

وقد بلغنا أنك تروم الوصول إلى رومة، فإياك وأن تحدث نفسك بشيء من ذلك، فإنك إذا دخلتها تحتل بها ولا تطمع في الخروج منها ولا في ملك بعدها أبدا، فعلى كل حال إن أنت راجعت قومك ودينك نجدد معك ما كان بيننا وبين أخيك، ووالله ما زال خديمتنا الذي كان عنده يذكر لنا من صوابه وخيره ما أوجب مكاتبتنا لك بنصحننا، وقد أحببنا أن تكون المودة والمراسلة بيننا وبينك فستتفع بها على كل حال إن شاء الله، والسلام على من اتبع الهدى.

وكتب في النصف من شعبان المبارك عام تسعة ومائة وألف.

ومن ذلك ما وقفت عليه خطابا لملك الإصبان وإليك لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، من عبد الله إسماعيل المتوكل على الله المفوض أموره إلى الله، أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسنى أيده الله آمين، ثم الطابع الملوكي بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى أيده الله ونصره وبدائرتة: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا:



ظهیر مولای اسماعیل ملک الیسان فی افتکاک بعض الأساری  
وانتقاء بعض الكتب

«إلى عظيم الروم وملك أقاليم إصبانية وبلاد الهند والمتولى أمورها والمتصرف فى أقطارها (دون كراوس) السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فقد بلغنا كتابكم صحبة خديمكم (دون منويل بيردلون) وخديمكم (دون ايبيل مسيح) وهو الكتاب الذى وجهتم لنا جوابا عن كتابنا الذى أصدرناه إليكم ووصلكم صحبة الفريالى قبل هذا وبعد أن قرأناه وفهمنا لفظه ومعناه وألقى إلينا خديمكم (دون ايبيل مسيح) ما فى خاطركم وما طلبتموه منا من فك هذه المائة من النصارى الذين وقع الكلام قبل هذا، رددنا إليكم جواب كتابكم، ووجهناه مع خدم دارنا العلية بالله كاتبنا ومتولى الخط الأقرب من بساتنا السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير، ولولا مزيتكم عندنا ومعرفتنا بمنصبكم ما سمحنا بفراق كاتبنا عن بساتنا لمهمات أمورنا، وأذنا لخديمنا الأكبر الأعز الأشهر أبى الحسن القائد على بن عبد الله أن يبعث معه رجلا من أصحابه، فوجه خديمنا عبد السلام بن أحمد جسوس معاشرًا له ومرافقا، وعند الكاتب المذكور قضية دخول جند الإسلام المظفر بالله على نصارى العرايش وفى علمه وعلى باله ما كان فى ذلك من الكلام والأسباب، وكيفية الخبر فى ذلك.

فثقوا به وتعرفوا منه فإنه حفظه ووعاه من أوله إلى آخره لملازمته لبساتنا العلى بالله فى سائر أوقاته، ونحن بلا شك كنا أعطينا القول لهذه المائة من النصارى بالسراح، ولكن وقع من النصارى ما اختل به منهم من الأنساب ما يوجب عدم الوفاء لهم بذلك، فمنهم من كان ينادى بلفظ مينا على رءوسهم، ومنهم من لم يرض بخروجهم على ذلك لذلك القول وكاد يفتك بمن دخل إليهم من خدامنا الذين أوفدناهم عليهم، وبعضهم ركب لجج البحر فارا بنفسه حتى أدرك وقتل على الموج، وحاجنا مع هذا كله كبار ملتنا وعلماء شريعتنا وأئمة ديننا بأن قالوا لنا: إن المسلمين كانوا أشرفوا على الغنيمة ساعثتذ ووقع الغلب والظفر،



ولم يبق للنصارى إلا الموت بالسيف أو بالغرق فلا وجه لسراحهم فى الشريعة رأساً.

وكنا فى أثناء هذه المدة كلها نتراد الكلام مع هؤلاء العلماء حفظهم الله، وقالوا لنا: هؤلاء المائة يكونون أسارى ويسترقون من كل وجه، كيف وقد أخذوا العرايش من أول وهلة بلا موجب، بل أضغطوا الشيخ ابن السلطان الذهبى وقبضوا عليه حتى أنفقوا عليه أموالاً عديدة ومسكوا أولاده بسببها حتى أعطاهم العرايش على ضغط منه وعلى غير تأويل حقيقى فى ذلك.

وذكرونا فى مسألة غدر أسلافكم بأهل غرناطة وغيرهم بما يزيد على الأربعين ألفاً بعد تعدد الشروط على ستين شرطاً، ولم يوفوا لهم بواحد منها إلى غير ذلك من الغدر والمكر بأهل غرناطة وغيرهم من أهل الأندلس فى كل بلد وقرية بعد بلد وقرية، فألفيناهم ما تكلموا إلا بالحق، وبقينا فى حيرة من أجل هذه المسألة من وجهين: الأول لا نقدر نخالف شريعتنا التى هى أساس ديننا، والوجه الثانى ذلك القول الذى سمعته فى تلك المائة أحببنا الوفاء به، وأنفت نفوسنا أن يسمع عنا الناس قلنا كلمة ولا نوفى بها، ولولا معاوضة العلماء لنا بهذا الاحتجاج القوى لكنا شرحنا هذه المائة مع الفرائلى وأصحابه الذين أتوكم قبل هذا مسرحين، فلأجل هذا أبصرنا كلام علمائنا فى هذه النازلة لا بد منه ولا محيد عنه، وأحببنا أن تسمع الناس أننا وفينا فى قولنا ولم يلزم فيه حرج ولا معارضة ولا كثرة اعتراض ولم يلزم فيه من حجة الشرع إثم، فأردناكم تعملون لنا وجه خلاص هذه المائة بالوجه الذى عملناه لكم وأعطيناكم فسحة فيه، وإلا فالمائة المذكورة أرقاء أسارى من جملة إخوانهم.

وذلك أن تعطونا فى الخمسين نصرانياً من هذه المائة خمسة آلاف كتاب مائة كتاب عن كل نصرانى من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المثقفة فى خزائنهم

بإشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرى حسبما يختارها خديمنا المذكور من المصاحف وغيرها وتعطون خمسمائة أسير من المسلمين فى الخمسين الأخرى عشرة أسارى لكل نصرانى، وإن لم توجد الكتب التى هى مرادنا فاجعلوا عوضها من أسارى المسلمين وأعطوهم لنا من الأسارى الذين فى الأغرية وغيرهم، وقبلنا منكم فى العدد المذكور الرجل والمرأة والصبى والصغير أو الكبير والشيخ المسن من إيالتنا وغيرها، إذ ما لنا قصد إلا فى الأجر والثواب فى فكاك أسرى المسلمين كيفما كانوا، ومن أى بلاد كانوا.

وإلا فالاعتناء الكلى إنما يكون بأهل الدواوين من الجند أو العلماء حملة الشريعة وعامة المسلمين إنما نقصد بفكاكهم وجه الله تعالى، فإن أنتم سارعتم لهذه المسألة فما عملكم إلا الخير فى أرواحكم وفى إخوانكم، وإن ثقل عليكم هذا الأمر ولم تقدرُوا عليه فأرجعوا خديمنا الكاتب الذى وجهناه إليكم فى أمان الله كما أتاكم والمائة من النصارى نصيرهم من جملة الأسارى إخوانهم يخدمون مثلهم.

وإذا نحن أبصرنا منكم المسارعة لأغراضنا والجد فى ابتغاء مرضاتنا وأنجزتم بأرواحكم فى هذه المسألة فلا ترون منا إلا ما يعجبكم وحتى باقى نصاراكم الذين هم عندنا من أصحاب العرايش وغيرها من غير هذه المائة نعمل لكم الكلام فى سراحهم بما يرضينا فيهم عندكم إن عملتم الواجب الذى لنا عليكم، وتعرفهم الصواب الذى تعين عليكم كما ذكرتم فى كتابكم، وبرجوع خديمنا حامله بما ذكرناه فى هذه المسألة نلتقاه هذه المائة نصرانى لسبته ويكون ملتقى الجميع فيها ولا عندنا معكم فى هذا إلا الجد الصحيح والعمل الصريح بحول الله تعالى.

وكتب لسادس عشر ذى الحجة الحرام خاتم عام واحد ومائة وألف.

وهداياهم للمترجم من الشائع الذائع الذى لا نحتاج معه لإقامة دليل ولا

برهان لوروده فى غير ما تاريخ من التواريخ الأروبية المهمة كتواريخ الكنت المذكور وكتب مويث الأسير وغير ذلك .

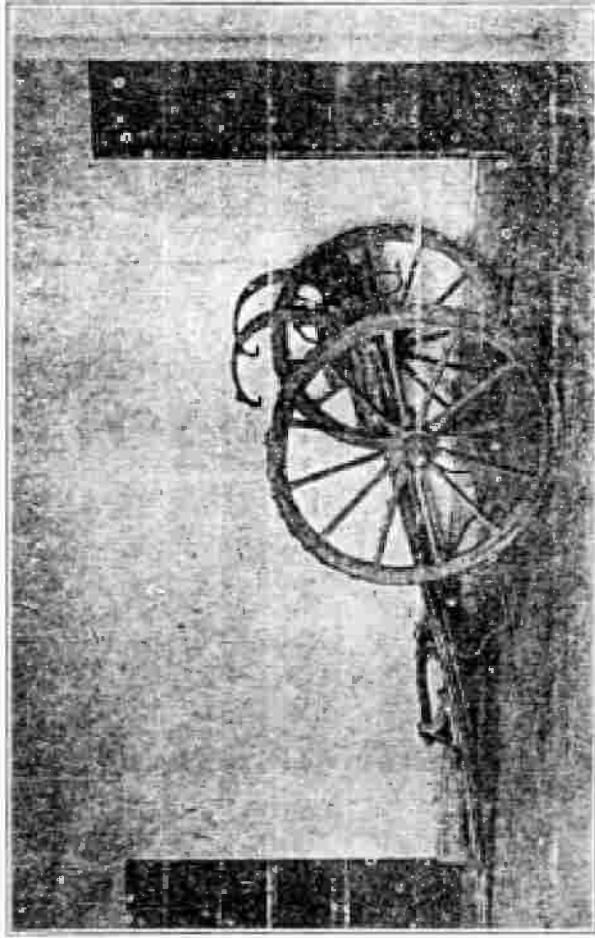
ومن الآثار الباقية من تلك الهدايا الملكية لحد الآن المشاهدة بالعيان البقية الباقية من آثار العرب التى وجه بها للمترجم الأمير العظيم الطائر الصيت لوزير الرابع عشر .

ومن ذلك هدية ملك الإسبان التى بعثها لمولاي إسماعيل وهى تشتمل على مائة وخمسين ألف (أبياسطر) عينا وفتاة تركية معها عدد من الفتيات الجميلات ، وديين ، وأربعة كلاب من أرفع جنس ، وأربعة من الغزلان الجبلية كما نقلت ذلك مجلة (سبريس) عن تاريخ دوكاسترى .

ومما ذكرته المجلة المذكورة سنة ١٩٢٨ : أن الجزء الثالث فى تاريخ العلويين من عيون التاريخ للمستعرب الكونت دوكاسترى الفرنسى الذى هو الجزء ١٥ من المجموعة كلها يحتوى على السنين الست التى ابتداؤها من ثانى شتنبر ١٦٨٦ وآخرها ١٢ إبريل ١٦٩٣ .

وأن هناك مخابرة كانت بين المغرب وفرنسا وقد تسببت هذه المخابرة بين دولة المغرب ودولة فرنسا على نقض الصلح المنعقد بينهما سنة ١٦٨٢ .

وسبب نقض هذا الصلح هو استفحال أمر القرصنة بسلا - أولا فقد كان عدد الأسرى من الفرنسيين وحدهم فى ذلك الحين بالمغرب ما ينيف على ٤٠٠ - وثانيا ما حدث من سوء التفاهم فى المخابرة بين على بن عبد الله باشا طنجة وبين الدولة الفرنسية ، لأن قنصل فرنسا وبعض قناصل الدول الأخرى لم يستطيعوا أن يخبروا المولى إسماعيل رأسا سنة ١٦٨٦ لأنه كان غازيا بالسوس الأقصى إلى أن نشأ عن سوء التفاهم المذكور توجيه أسطول صغير لشواطئ المغرب تحت رئاسة



العربة التي أهداها لوزير الرابع عشر لمولاي إسماعيل

(مونت مار) ينتظم الأسطول من قطع ٧ فهبت عليه عاصفة فرقت شمله ولم ينجح، وأخفق سعيه في الكرة ثانيا لمصادفة الحال اشتغال ملك فرنسا في حروب داخلية مع فئة (أو كسبور).

ثم أصدر لويز ١٤ أمره سنة ٨٧ بقطع الوصلة التجارية بينه وبين المغرب لأنه كان لا يمكنه أن يحمل التجار الفرنسيين المتعاطين للتجارة بالمغرب على مبارحته وإخلائه لقضاء مصالحهم عليهم بالبقاء به، ورغمما عن ذلك فإن التجارة بقيت مستمرة مع ضعف، ونجح تجار الإسبان والإنجليز في ذلك الوقت، وفي عام ٨٨ ألزمهم مولاي إسماعيل بأداء غرامات باهضة اضطر بسببها لويز ١٤ للإرجاع في منع التجارة التي كان حجز بينه وبين الدولة المغربية، وذلك إثر رجوع مولاي إسماعيل من حركة السوس وعادت المواصلات لما كانت عليه، وأصدر مولاي إسماعيل أمره بجمع الأسرى الذين بالمغرب وتوجيههم لمكناس وجعلهم تحت نظره، وهذا أول حجارة وضعت في بناء أساس المودة بين لويز ١٤ وبين السلطان.

ولما حل الأسارى بمكناس بالغ السلطان في إكرامهم وأجزل لهم العطاء وغمرهم في البر، وأسقط عنهم كل كلفة كان يتحملها أسارى غيرهم من الأجناس.

ومع ذلك تأخر عقد المعاهدة في تلك السنة لاشتغال مولاي إسماعيل بمحاصرة العرايش وحرب باي الجزائر.

ثم لم يلبث مولاي إسماعيل أن تكدر جو السياسة بينه وبين فرنسا بسبب حادثة غريبة، وهي أن أحد أشراف المسلمين كان قد أسر ولبث زمنا طويلا بفرنسا إلى أن افتداه مولاي إسماعيل مع جمع من الأسرى، فلما ورد مكناس وردها مجذوم الأنف أصلم الأذنين، فاستاء مولاي إسماعيل مما عومل به ذلك الشريف

ولم يسكن غضبه حتى قرر له سفير فرنسا أن الأسير المذكور استوجب ذلك عقابا لاغتياله بعض الناس بفرنسا.

ثم اشتغل مولاي إسماعيل بقضية العرايش وافتداء أسراها مع الإصبان وأذعن الإصبان لأن يفتدى كل أسير من أسراها بعشرة من المسلمين، مع أن المفادات مع فرنسا كانت رأسا برأس، وأشار في هذا الجزء لقضية فتح العرايش بأمّتع بيان، فليرجع إليه من أراد الاستقصاء.

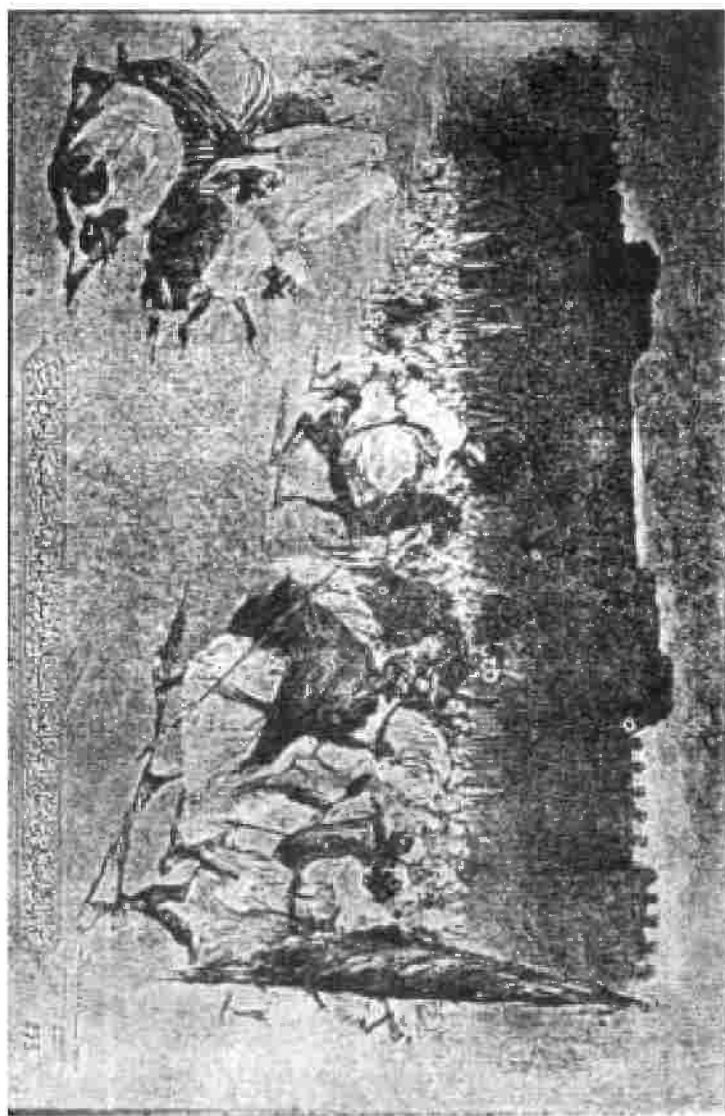
وبعد افتتاح العرايش تفرغ مولاي إسماعيل لإبرام المعاهدة مع سفير فرنسا فتمت في ١٢ إبريل عام ١٦٩٣.

وتجد أيضا في الجزء نفسه من الحوادث الداخلية التي وقعت في المغرب في السنين المذكورة كأخذه لتروذانت من يد مولاي الحسن وغزوه للوسوس واستيلائه ومحاصرته للعرايش إلى أن وقعت في يده ومحاربة باي الجزائر.

قال: ولا ننس فضل دوكاستري على تاريخ المغرب في تحقيقه لهذه المسائل ومن أراد مزيد البيان بمراجعة وصف هذه الحروب فليراجع ما كتبه الأتراك في التأليف المسمى دفتر التشريفات الذي نشره (ديفل) سنة ١٦٥٢ وقد أعاد الكنت دوكاستري طبعه باللسان التركي الذي كتب به مع الترجمة الفرنسية بقلم ديغل المذكور الناشر الأول، وترجمة أخرى بقلم دوكاستر الناشر الثاني مصححة معلقا عليها.

هذا وقد وصف مولاي إسماعيل غير واحد ممن درس حياته بأنه آية في الدهاء والسياسة والنباهة وصدق اللهجة، نشأ في حرز ووصون وعفاف، وكان ذا جد واجتهاد وحزم وعزم ونجدة وشهامة وشجاعة ومروءة وقناعة ومثانة دين.

قال في تاريخ انقلاب دول الغرب (لابريط ويت) الانجليزى صحيفة ٥:



مولای اسماعیل خارجا وسط جیشه من مکناس

«إن مولاي إسماعيل كان غير أكول قنوعا من كل شيء غير النساء محافظا على أمور ديانتته محافظة تامة» .

وقد كان عارفا بفلسفة التاريخ وأيام العرب وأنسابها وأحوال الأمم ووقائعها، إماما مرجوعا إليه في السيرة النبوية وضبطها .

استخلفه أخوه المولى الرشيد بفاس ومكناس فحسنت سيرته، ثم بويع له بالخلافة العامة بعد وفاة أخيه المذكور سنة اثنتين وثمانين وألف وهو إذ ذاك بمكناسة الزيتون كما في الترجمان المغرب، فوفد عليه علماء فاس وأعيانها وأهل القوة والبأس منها ببيعتههم، ثم تتابعت وفود القبائل المغربية على أعتابه ببيعتههم .

فنهض بأعباء الخلافة وأقام للعدل قسطاسا، ورتب أمور المملكة ودوخ البلاد سهلها والجبل، واستنزل العصاة من صياصيههم وقام في وجه الثوار الأقارب من إخوانه وبنى عمه وأولاده وغيرهم من الأباعد، وكان النصر حليفه .

وفتح من الثغور: المهدية والعرايش وأصيلة وطنجة، وضبط الأمور وبنى الدور والقصور والمساجد والرباطات والقلع في الغور والنجد من وجدة إلى وادي نون، وعمرها بالجنود السود لحراسة السبل وتأمينها ونزع السلاح والخليل من القبائل، ولم يترك شيئا من ذلك إلا لأهل الريف وآيت يَمور من البربر والودايا وعرب المعقل وجيش العبيد، ومن نتج له فرس يكون للحكومة، وأمرهم بالاشتغال بالفلاحة والقيام على الماشية والاشتغال بما يعينهم من صناعة وتجارة، فعظمت ثروة البلاد وكثر الروجان الذي لم يتقدم له نظير، وجمع أهل الذعائر من كل قبيلة وأودعهم سجنونه فكانوا يخدمون في البناء مع أسارى الكفار ويبيتون في الدهاليس، فساد الأمن في دولته حتى كانت المرأة والذمي يسافران، المدة لطويلة في البلاد الفقيرة فلا يتعرض لهما أحد بسوء، بل ولا يسألهما من أين ولا إلى أين إلا ما كان من الحرس المكلف بتأمين السبل وحياطة المارة .



ونفقت فى أيامه الزاهرة سلع العلم والأدب، وتوالى الخصب وعم الرخاء،  
وإلى ذلك أشار أبو القاسم الزيانى فى ألفية السلوك بقوله:

|                                         |                                       |
|-----------------------------------------|---------------------------------------|
| فى عام جفش <sup>١٠٨٣</sup> تم بدره وصال | ومهد المغرب سهلا وجبال <sup>(١)</sup> |
| وقال للسلاح والخيال اغربى               | من كل حى عجمى أو عربى                 |
| وجمع الذعار فى الدهالس                  | وغيرهم من أرباب المناחס               |
| وجمع العبيد من كل بلد                   | جند كل السود لم يترك أحد              |
| وصارت الغنم والذياب                     | ترعى بسرح ما لها أنياب                |
| أيامه غزيرة الأمطار                     | كثيرة الخيرات والثمار                 |
| الزراع والإدام والمواشى                 | رخيصة وكل شىء فاش                     |
| وطهر الثغور من أهل الصليب               | وعمر الحصون وفق ما يجب                |
| حتى أتاه القدر المحتوم                  | فى شق <sup>١١٣٩</sup> طال فحلت الهموم |

ولا يخفى ما فى هذا النظم من الكسر والركاكة<sup>(٢)</sup> وإنما سقناه لفائدته  
التاريخية وشهرة صاحبه.

وكان المترجم يرشح مهرة الطلبة العارفين بنسخ الكتب وضبطها وإتقانها  
أصحاب الخط البارع من فاس ومكناس وغيرهما من العواصم المغربية لنسخ كتب  
الأحاجى والروايات كألف ليلة وليلة، والعنترية سيرة عنترة بن شداد وغير ذلك،  
ويعدد النسخ منه ويفرقها فى جيشه وكبراء عسكره ويلزمهم مطالعتها ومزاولتها

---

(١) فى هامش المطبوع: «لم يراع الكسر وإلا فيبعته كانت فى متم عام ١٠٨٢ دون نزاع.  
انتهى. مؤلف».

(٢) أبقيناه كما هو لرغبة المؤلف.

حتى تصير لديهم من الضروريات، وقصده بذلك صيروتهم على بال مما جمعته من مكاييد الحروب والكر والفر وتدبير نزول الجيوش والأخذ بالأحوط في ذلك، وكيفية الهجوم وافتتاح المحاربة، وعقد الصلح والمهادنة، وترتيب الشروط، وتعلم الإقدام والمخاطرة، وإدراك المراتب بالمزايا زيادة على ما في ذلك من إعانة العسكر على السهر للحراسة وغير ذلك.

ومن المقرر المعلوم أن المحاجات والأسئلة والأجوبة تحدد الذهن وتذكى العقل وتعلم الصغار التحيل في الكلام واختيار ما يأتي وما يذر. وحكايات مجالس الحكام والوزراء لها أثر كبير في ردع رؤساء الدولة واحتياطهم في أحكامهم وتأنيتهم في قضاياهم خشية أن ينقل عنهم ما يشين فيفتضح غرضهم، وهذا أمر محسوس في الأدب والتربية، ومن لم يكن يحفظ فصولا عدة من تلك الأحاجي والروايات لا يعد من عبید البخارى الأحرار.

**استطراد:** أما مدينة المهديّة فهي من جملة مدائن يفرن في القديم، انتزعها من يدهم أمراء برغواطة وعمّروا ساحتها بنى حسن الذين هم بها لهذا العهد بالصفة اليسرى من وادى سبو، وخربوها فيما خربوه من المدائن.

وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة جدد بناءها جوهر الصقلي، ولما أنزل يعقوب المنصور الموحدى العرب من رباح الهلالين ببلاد الهبط أنزل بنى مالك منهم على الضفة اليمنى من النهر المذكور، وجدد بناءها وجعلها مركزاً لرياسة العرب الهلالين، فأعاروها جانباً من البداوة وبقيت على حالها إلى أن هدمها أسطول صاحب برشلونة سنة ثلاث وستين وستمائة، وبقيت على خرابها إلى أن نزل بها البرتقاليون سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فشرعوا في تحصينها، وبعد ثلاث سنين أخرجهم منها أبو عبد الله الوطاسي.

ثم في سنة ثلاث وثلاثين وألف استولى عليها الإصبان وحصنها وعمروها

إلى أن أخرجهم منها صاحب الترجمة سنة ثنتين وتسعين وألف، وأنزل بها جيش العبيد وأوزاعا من عرب الناحية وهي على ذلك لهذا العهد.

وأما مدينة العرايش: فهي مدينة قديمة تعرف بـ «سفدد» بباء فسين ففاء فداين، كان صاحبها من بقية الأدراسة أحمد بن القاسم جنون تحت طاعة محمد الناصر صاحب قرطبة سنة ٣٣٧، ثم أخرجه منها جوهر قائد جيش الفاطميين، ثم صارت تابعة لعمال المروانيين ومن أتى بعدهم إلى أن أنزل بها يعقوب المنصور الموحدى العرب الهلاليين فجعلوها قاعدة رياستهم وأطلقوا عليها اسم العرايش، فصارت إلى البداوة أقرب، سيما وقد هدمها أسطول الإفرنج سنة ٦٦٨ وبقيت على خرابها إلى سنة ٩١٠، فنزلها البرتغاليون وبنوها وعمروها إلى أن أخرجهم منها المنصور السعدى سنة ٩٨٦، فاعتنى بها وحصنها وبنى قصبتها، ثم فى سنة ١٠١٩ ساعد محمد الشيخ الإصبان بتسليمها لهم وبقوا بها إلى أن أخرجهم منها المترجم سنة ١١٠١ وهي على ذلك إلى الحين الحالى.

وأما أصيلة: فكانت ساحتها تقام بها سوق أوائل القرن الثالث يقصدها الناس من الأمصار بأنواع المتاجر وتكاثر البناء بها إلى أن صارت قرية أهلة، ثم قدم إليها القاسم بن إدريس عندما أخرجه أخوه محمد من البصرة فنزلها وزهد فى الملك، وبنى مسجدها على ضفة البحر وسورها وبنى قصرها، ثم تولاهما ابنه إبراهيم ولم تزل بيد بنيه إلى أن صارت للحسن الحجام، ثم لموسى بن العافية سنة ٣١١ إلى أن نزل عليها أسطول بنى العزفى وأهل سبتة سنة ٦٦٣، فهدأ أبو القاسم منهم قصبتها وخربها، وفى عام ٨٧٦ قام بها أبو عبد الله محمد الشيخ ابن أبى زكرياء الوطاسى مؤسس دولة بنى وطاس واتخذها عاصمة.

وفى السنة نفسها نزل عليها أسطول البرتقال واحتلها فى غيبة أبى عبد الله، وظفر بيت ماله وأسر ولده محمد فبقى فى أسره سبع سنين ورجع، فكان يدعى بمحمد البرتقالى.

وحصنها البرتقاليون وجددوا بناءها وأقاموا بها إلى أن فتحها صاحب الترجمة سنة ثنتين ومائة وألف، وعمرها أهل الناحية فهي على ذلك لهذا العهد.

وأما مدينة طنجة = بفتح فسكون = فهي بشاطئ البحر المحيط بمدخل الزقاق الفاصل بين قارتى إفريقية وأوروبا مقابلة للجزيرة الخضراء، أسس بناءها القرطاجنيون وكانت من أعظم مدائنهم بإفريقية، حازت من الضخامة وعلو الشأن ما لا يدرك شأوه، ثم طغى عليها البحر وبقي طرف منها لهذا العهد يعرف بطنجة القديمة جاء الفتح الإسلامي وخرائب هذه المدينة العتيقة قائمة للعيان.

قال أبو عبيد البكري في المسالك عند ذكر طنجة ولىلى الحادثة وطنجة البيضاء القديمة المذكورة فى التاريخ فيها آثار للأول كثيرة من قصور وأفناء وغيوان وماء مجلوب فى قناو رخام كثير وصخر منجور وتحفر خزائنها فيوجد فيها أصناف الجواهر فى قبور أولية وغيرها من المواضع وقد غلب على مدينة طنجة القديمة الرمل والعمارة اليوم فوقها انظر تمام كلامه فيه<sup>(١)</sup>.

ثم عندما دخل المسلمون قارة إفريقية فتحت طنجة على يد عقبة بن نافع الفهري سنة ثنتين وستين من الهجرة، وولى عليها من قبله وعقد الصلح من يوليان صاحب سبتة، وأعمال غمارة على الجزية وبقيت طنجة تعلو وتسفل مع الزمان إلى أن استولى عليها البرتقاليون سنة تسع وستين وثمانمائة، فأقاموا بها إلى أن اندمج البرتقاليون تحت حكم دولة الإصبان، ثم تنازلت عنها لدولة انكلترا وبقيت تحت ولايتهم إلى أن كانت سنة خمس وتسعين وألف، فحاصرها أبو الحسن على بن عبد الله الريفي فى جيوش أهل الريف بإذن سيدنا الجد السلطان صاحب الترجمة، ولما اشتد الحصار عليها عمد من بها من الإنجليز إلى تخريبها وهدم حصونها وركبوا سفنهم وتركوها، فدخلتها الجنود الإسماعيلية من

(١) المسالك والممالك للبكري ٢ / ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٨.

غير قتال، وجدد ما تهدم منها، وأسس مسجد قصبتها وغيره وهى على ذلك لهذا العهد.

هذا وقد أفردت ترجمة هذا الإمام المترجم بمؤلف وسميته بـ «المنزع اللطيف، فى التلميح لمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف» ورتبته على أربعة وعشرين باباً:

- الباب الأول فى التعريف به .
- الثانى فى سيرته .
- الثالث فى شفقتة على الرعية وحنانه .
- الرابع فى شغفه بالعلم ورفعہ منار أهله .
- الخامس فى صدق فراسته .
- السادس فى سيره فى جيوشه .
- السابع فى فتوحاته .
- الثامن فى علاقته السياسية مع الدول الإسلامية والأوروبية .
- التاسع فى اهتمامه بتحقيق أحساب وأنساب سكان عاصمة ملكه مكناسة الزيتون وأمره بتدوين ذلك .
- العاشر فى قضاته .
- الحادى عشر فى خلفائه من أولاده .
- الثانى عشر فى وزرائه .
- الثالث عشر فى نسائه .
- الرابع عشر فى عماله وولاة أمره من أمناء ونظار وحجاب .

- الخامس عشر فى سفرائه إلى الدول .
  - السادس عشر فى أطبائه .
  - السابع عشر فى شعراء دولته .
  - الثامن عشر فى بناءاته .
  - التاسع عشر فيما غرسه من الجنات والبساتين .
  - العشرون فى عدد ما خلفه من الأولاد .
  - الواحد والعشرون فيما خلفه فى سجنونه من الأسارى وأرباب الجرائم .
  - الثانى والعشرون فى إخلاص رعيته فى محبته .
  - الثالث والعشرون فيما قيل فيه من الأمداح .
  - الرابع والعشرون فى وفاته ، وكل باب يحتوى على فصول وفوائد تاريخية مهمة تسر الناظرين .
- مشيخته : أخذ عن وزيره الیحمدى حسبما صرح بذلك عن نفسه كما أخذ عن غيره من الأعلام .
- ولادته : ولد بالسوس عام ستة وخمسين وألف هكذا فى بعض التواريخ والشائع عند جميع أشرف تافيلالت على ما شافهنى به الشريف العدل البركة الضابط مولای عبد السلام بن محمد بن الشريف بن على بن عبد الرحمن بن الحران بن محمد بن على الصغير دفين باب إيلان من مراکش قائلا : إنه تلقى من أعيان كبراء الأشراف وأعلامهم الأثبات أن المترجم ولد بتافيلالت بالقصر المعروف بامجار ، وأن القبة التى ولد بها لا زالت معروفة محترمة ، عند الخاصة والعامة إلى الآن وحتى الآن لا يلحقهم فى ذلك أدنى شك ولا تردد وعند الله علم الحقيقة .

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون عام تسعة وثلاثين ومائة وألف وقبره مزارع شهيرة عليه صيب الرحمات.

١٠٥- أيويس: بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية وفتح الواو وسكون الياء والسين المهملة كذا ضبطه في الأزهار الندية قال وهذا من الأسماء التي يتعذر بيان معناها.

حاله: فقيه علامة مفتي نوازلى ورد على فاس بعد العشرة السادسة ولازم الأخذ عن الشيوخ حتى برع فى الفقه المالكى، ولازم أبا على بن رحال بمكناسة الزيتون مدة، ثم رحل لفاس وكان يذهب لباديتها ويحضر أسواقهم ويستفتونه ويأتونه بالهدايا، وربما أفتى بغير المشهور.

مشيخته: أخذ عن أبى على بن رحال ومن فى طبقة.

وفاته: توفي بفاس عام سبعين ومائة وألف.

\*\*\*

---

١٠٥ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى فى موسوعة أعلام المغرب ٢٢٨٧/٦.